الصراع العثماني المملوكي في مصر ونتائجه

إعداد
الدكتور . سعيد بن سعد سفر الغامدي
الأستاذ المشارك في التاريخ الحديث والمعاصر
قسم التاريخ والحضارة
كلية العلوم الإجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين .

وبعد ،

إنّ الحديث عن قيام الدول وسقوطها أمر هام جدير بالبحث والدراسة ففيه عبرة وعظة ودروس كبيرة .

وقصة قيام الدولة العثمانية ، ودخولها إلي البلاد العربية ، وسقوطها بعد ذلك . لم تحظ بدراسة علمية وثائقية لأسباب كثيرة منها بعد المصادر الأساسية والوثائق العثمانية عن أيدى المؤرخين والدراسين .

ودخول الدولة العثمانية إلي البلاد العربية وصراعها مع الدولة المملوكية أمر هام جدير بالبحث والدراسة لا سيما وأنه بداية لتاريخ العرب الحديث عند معظم المؤرخين .

ومن خلال دراستي للصراع العثماني المملوكي في مصر ونتائجه علي الوطن العربي لفت نظري أمر هام ، وهو خلو معظم الكتابات التاريخية من الوثائق العثمانية . وإعتمادها علي مصادر قليلة ، ومراجع كثيرة نقلت عن بعضها البعض حتي ضاعت الكثير من الحقائق التاريخية الصحيحة ، وصارت معظم الكتابات التاريخية في إتجاهين متعارضين . الأول منهما : التعصب الأعمي للمماليك وتبرئة ساحتهم من الأخطاء والعيوب والمغالاة في سرد إيجابياتهم . والإتجاه الثاني : التعصب الشديد للدولة العثمانية في إتجاهها إلي البلاد العربية . وألقي أصحاب كل إتجاه اللوم والمسؤلية علي الإتجاه الآخر .

لهذه الأسباب كلها قررت إختيار موضوع ، الصراع العثماني

المملوكي في مصر ونتائجة » لعلي أسد فجوة في هذا المجال . وأوضح بعض الحقائق التاريخية عن هذه الفترة من تاريخ البلاد العربية من واقع الوثائق العثمانية وأجلي الغموض والملابسات التي أبعدت بعض المؤرخين عن الصواب . وهذا ليس دفاعاً عن طرف علي حساب الطرف الآخر ، وإنما هو إحقاق للحق ودفع للباطل إن شاء الله تعالي .

وكان إعتمادي الأساسي في هذا البحث علي الوثائق العثمانية المحفوظة في المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة الوزراء . إستانبول.

BASBAKANLK ARSIVI GENEL MUDURLU

وهي مصنفة كما يأتي :

وثائق دفاتر المهمة : MÜHIMME DEFTERLERI

١ ـ دفتر المهمة رقم « ٥ »

٢ ـ دفتر المهمة رقم « ٦ »

٣ ـ دفتر المهمة رقم « ٧ »

٤ ـ دفتر المهمة رقم « ٨ »

٥ ـ دفتر المهمة رقم « ٩ »

٦ ـ دفتر المهمة رقم « ١٠ »

٧ ـ دفتر المهمة رقم « ١٣ »

٨ ـ دفتر المهمة رقم « ١٥ »

٩ ـ دفتر المهمة رقم « ١٦ »

وقد اعتمدت في هذا البحث علي إثنتين وثمانين وثيقة تركية لم تنشر مأخوذة من دفاتر المهمة المذكورة آنفاً . وتتضمن هذه الوثائق مراسلات وتقارير بعث بها السلطان سليم وهو في الشام ومصر إلى إبنه وولي عهده

سليمان (القانوني) في إستانبول يصف فيها حروبه مع المماليك ، ويصف فيها جيشه في أثناء المعارك ، وجيش خصمه ، وحالة البلاد من كافة النواحي ، وبعض هذه الوثائق عبارة عن مراسلات بين السلطان سليم وأمير دمشق وقاضي القضاة فيها يصف فيها تحركاته وتحركات خصمه في مصر بكل دقة . والبعض الثالث تقارير بعث بها الصدر الأعظم وبعض القادة العسكريين والوزراء إلى مقام الصدارة العظمى في إستانبول ، وفيها وصف دقيق وشامل لمجريات الأحداث في مصر .

وهذه الوثائق لا غنى عنها لأي باحث أو مؤرخ يكتب عن تلك الفترة فهي تتضمن وصفا دقيقا وشاملا لشخصيات قادت تلك المعارك ولعبت دوراً كبيراً على مسرح الأحداث ، وتتصف معظم هذه الوثائق بالواقعية والثقة ومن هنا تبرز أهميتها في البحث التاريخي .

كما اعتمدت - إلى جانب الوثائق - على بعض المصادر العربية المعاصرة لتلك الفترة مثل :

ابن إياس ، المتوفي سنة ٩٣٠ هـ/١٥١٤ م	بدائع الزهور في وقائع الدهور
إبن زنبل ، المتوفي سنة ٩٦٠ هـ/١٥٥٢ م	آخر المماليك « واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني »
ابن طولون، المتوفي سنة ٩٥٣ هـ/١٥٤٦م	مفاكهة الخلان في حوادث الزمان
ابن الحنبلي،المتوفي سنة ٩٧١ هـ/١٥٦٣م	در الحبب في تاريخ أعيان حلب .

واعتمدت أيضاً على بعض المراجع للموازنة بينها وبين الوثائق والمصادر المعاصرة .

وكنت قد تحدثت في بحث سابق [1] عن نشأة الدولة العثمانية وفتوحاتها في شرق أوربا ، والصراع العثماني الصفوي ، والعلاقات العثمانية المملوكية ، واستنجاد القوى الإسلامية في شمال إفريقية بالدولة العثمانية .

وقد حصرت حديثي في ذلك البحث . فيما يخص العلاقات العثمانية المملوكية . عن الأسباب الكثيرة التي أدت إلى قيام حرب بين الدولتين المسلمتين . ومن تلك الأسباب التي فصلت القول فيها :

الخطر الشيعي من الشرق ، والخطر البرتغالي النصراني من الغرب ، الذي كان يهدف الى الوصول إلى الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، والقدس الشريف . وعجز الدولة المملوكية عن حماية تلك الأماكن المقدسة من تلك الأخطار ، كما تحدثت عن مشاكل الحدود بين الدولتين ، وبخاصة إمارة البستان . ذو القادر . ولجوء بعض الأمراء الخارجين على السلطان العثماني إلى مصر . مثل الأمير جم أخو السلطان بايزيد الثاني . وإيواء المماليك لهم وأستخدامهم عنصر شغب داخل الدولة العثمانية . وتحدثت أيضاً عن التحالف المملوكي الصفوي وأثره السيىء في نفس السلطان سليم . كما أن موقف السلطان المملوكي قانصوه الغوري المتردد في فترة أزمة العلاقات العثمانية الصفوية قد أساء إلى السلطان سليم ، وذكرت أيضاً من تلك الأسباب ما أدعاه السلطان سليم من قيام دولة المماليك بإعتراض طرق الإمدادات والتموين الموجه إلى القوات العثمانية في فارس .

---

(١) د . سعيد سعد الغامدي : دخول الأقطار العربية في حوزة العثمانيين وريادة الإتجاه الإسلامي . بحث منشور في الكتاب السنوي لقسم التاريخ والحضارة . كلية العلوم الإجتماعية . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . السنة الأولى . العدد الأولى . سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

وما قيل عن إستيلاء الغوري على الهدايا التي أرسلها أمراء الهند إلي سليم . وإستيلاء السلطان المملوكي قايتباي من قبله على بعض الهدايا المرسله إلي السلطان بايزيد الثاني ، وكذلك شكوي قانصوه الغوري من أن سليما عمل علي وقف عملية تصدير الرقيق إلي مصر . وهو أمر خطير بالنسبة للدولة المملوكية . وبالإضافة إلي ذلك فقد تحدثت عن رغبة الدولة العثمانية في التشرف بخدمة وحماية البلاد المقدسة ، ثم أشرت إلي بعض الأسباب الإقتصادية التي أسهمت بدور ـ ضعيف ـ في إتجاه الدولة العثمانية صوب المشرق العربي .

أما هذا البحث الذي أقدمه فقد حصرته ـ كما أشرت سابقاً ـ في الصراع العثماني المملوكي في مصر ونتائجه . ولم أتحدث عن بداية العلاقات بين الدولتين قبل بدء الحرب لأني قد تحدثت عنها . ولا أريد التكرار . والله من وراء القصد .

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين .

الصراع العثماني المملوكي في مصر ونتائجه

١ ـ الزحف العثماني علي مصر .

٢ ـ معركة الريدانية .

٣ ـ معارك القاهرة .

٤ ـ معارك الجيزة .

٥ ـ معارك النيل .

٦ ـ معركة دهشور .

٧ ـ إلتجاء طومان باي إلي قبيلة محارب .

٨ ـ إلقاء القبض علي طومان باي وإعدامة .

٩ ـ وصول الأسطول العثماني إلي الإسكندرية .

١٠ ـ قواعد الحكم العثماني في مصر .

١١ ـ عودة السلطان سليم إلي إستانبول .

١٢ ـ أسباب سقوط المماليك وانتصار العثمانيين .

١٣ ـ نتائج دخول الأقطار العربية في حوزة العثمانيين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الزحف العثماني على مصر

بعد إنتصار السلطان سليم الأول بجيوشه علي المماليك في موقعة « مرج دابق »[1] والتي علي أثرها خضعت بلاد الشام للحكم العثماني. قرر السلطان سليم الزحف علي مصر بعد أن فشلت كل المفاوضات التي بذلها مع السلطان المملوكي الجديد طومان باي ، وفي نفس الوقت أراد السلطان سليم أن يستغل الفرضي التي كانت سائدة في البيت المملوكي حول إعتلاء العرش ، كما ذكر السلطان سليم الأول في رسالته التي بعث بها إلي إبنه وولي عهده سليمان القانوني [2] . هذا من ناحية .

ومن ناحية أخري فقد كانت الأوضاع في مصر مضطربة ، بسبب إصرار طومان باي علي عدم توليه السلطة رغم إصرار بقية الأمراء علي توليه . وأستمر تمنعه لمدة خمسين يوماً ، وقد يكون السبب في ذلك إحساسه بثقل المسئولية ، لا سيما وأنّ الجيش العثماني علي أبواب مصر ، أضف إلي ذلك فراغ خزينة الدولة المملوكية من الأموال وخوف طومان باي من غدر الأمراء به ، واثارتهم للفتن وثورتهم عليه ولكنه قبلها في نهاية الأمر تحت ضغط الرأي العام عليه وبخاصة العلماء في مصر وفي مقدمتهم العالم أبو السعود الجراحي الذي كان من مشايخ الصوفية ، وكان له منزلة خاصة لدي سلاطين المماليك ، فقبل السلطان طومان باي

---

(١) سبق أن تحدثت بالتفصيل عن هذه المعركة وأسباب الحرب بين الدولة العثمانية والدولة المملوكية في بحث منشور في كتاب قسم التاريخ السنوي العدد الأول عام ١٩٨٨ م .

(٢) دفتر المهمة رقم (٥) وثيقة رقم (٢١١٢) تاريخ ١ ذو القعدة سنة ٩٢٢ هـ من السلطان سليم إلي إبنه وولي عهده (بالبرس (إستانبول) ووثيقة رقم (٢١١٤) تاريخ ١ ذو القعدة ٩٢٢ هـ نفس الموضوع والمرسل إليه .

أمر السلطنة في مصر ، واجتمع الأمراء المماليك حوله بعد أن أقسموا علي المصحف الشريف علي طاعته وعدم الغدر به والكف عن ظلم المسلمين [1] .

كما بايع أمير المؤمنين يعقوب الذي كان يحمل تفويضاً من ابنه الخليفه العباسي المتوكل علي الله الذي خرج إلي الشام مع السلطان قانصوه الغوري ، وانضم إلي السلطان العثماني سليم بعد مقتل الأول في مرج دابق . وبهذه المبايعة تولي طومان باي السلطنة في ١٤ رمضان ٩٢٢ هـ / ١١ أكتوبر ١٥١٦ م . وعمره أنذاك ٣٨ سنة وخطب له علي المنابر . وفرح الناس بسلطنته وكان محبباً لدي عامة الناس لأنه كان ليّن الجانب ، متواضعاً غير متكبر ولا متجبر علي عكس معظم سلاطين المماليك [2] .

ما أن تسلم طومان باي مقاليد الحكم حتي وقع علي كاهله عبء الدفاع عن الإقليم المصري ، وخاصة بعد الإنهيار الذي أصاب الجبهة المملوكية في الشام مما أدي إلي صعوبة إعادة تنظيم القوات المملوكية ، وبدأ طومان باي حكمه بإستقبال العديد من الأمراء المماليك العائدين من ميدان الهزيمة بالشام ، وكان علي رأسهم جان بردي الغزالي نائب حماه وصهر السلطان طومان باي .

وأعلن السلطان طومان باي الإستعداد العام ، وقام بتفقد الجيش بنفسه ، وعين الأمراء والقادة العسكريين في المناصب المختلفة كما قام بتعيين جان بردي

---

(١) دفتر الهمة رقم (٥) وثيقة رقم (٢١ .) تاريخ ٢٧ رمضان ٩٢٢ هـ من القاهرة (لم يذكر إسم المرسل) إلي السلطان سليم في بلاد الشام .

وابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور . طبع المطبعة الكبري الأميرية بمصر . الجزء الثالث ، الطبعة الأولي سنة ١٣١١ هـ ، ص ٦٩ .

(٢) جلال يحيي ، العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ، طبع المكتب الجامعي الحديث بالإسكندرية ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٤٩ و ٢٥٠ .

عبد المنعم ماجد ، طومان باي آخر سلاطين المماليك في مصر ، مطبعة الأنجلو المصرية ١٩٧٨م ص ٤٢ .

يذكر ابن إياس في تاريخه إن السلطان سليم أوفد وهو في القنيطرة يوم الخميس ٢٤ ذو القعدة ٩٢٢ هـ / ١٨ ديسمبر ١٥١٦ م ، مراد الجركسي مبعوثاً من قبله وحمّله رسالة إلي طومان باي ، ولما وصل المبعوث وسلّم الرسالة إلي السلطان المملوكي اشتد غضب ذلك السلطان لما فيها من الإهانة البالغة التي مست كرامته وعزته . وأمر بقتل المبعوث العثماني [٢] .

بينما يذكر ابن زنبل في تاريخه أنّ السلطان سليم أوفد ثلاثة رسل وحملهم رسالة إلي طومان باي ، فوافق الأخير علي محتواها عندما اطلع عليها ، لما فيها حقن لدماء المسلمين ، ولما بلغ الخبر للأمير المملوكلي علان اشتد غضبه وقتل المبعوثين الثلاثة [٣] .

والذي أرجحه أن ما ذكره ابن زنبل هو الصواب لأنه عاصر تلك الأحداث وعاش في جوها وشاهد الحوادث فيها ، بعكس بن اياس الذي عاصر تلك الأحداث وهو في مصر وكان في آخر عمره حيث توفي سنة ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م ، وكان يعتمد في كتاباته علي ما يرويه له أصدقاؤه . والشاهد ليس كالسامع وإن اتفقا في المعاصرة .

وقد ورد في هذه الرسالة التي بعث بها السلطان سليم إلي طومان باي في

---

(١) ودفتر المهمة رقم (٥) وثيقة رقم (٥ . ٢١) تاريخ ١٢ شوال سنة ٩٢٢ هـ من القاهرة (لم يذكر إسم المرسل) إلي السلطان سليم في دمشق وثيقة رقم (٧ ٢١) تاريخ ١٢ شوال ٩٢٢ هـ من القاهرة (لم يذكر إسم المرسل) إلي السلطان سليم في دمشق
ابن إياس ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ٦٩ . ٧٢ .

(٢) ابن إياس المصدر السابق ، ج ٣ . ص ٨٣

(٣) بن زنبل آخر المماليك ، واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني ، تحقيق عبد المنعم عامر القاهرة ١٩٦٢ م ص ٤٣ و ٤٤

« ... وإني أخذت المملكة ، بمساعدة أملاك الدولة المملوكية ، بالسيف بحكم الوفاة عن السلطان الغوري فاحمل لي خراج مصر في كل سنة كما كان يحمل لخلفاء بغداد ... أنا خليفة الله في أرضه وأنا أولي منك بخدمة الحرمين الشريفين ... وإن أردت أن تنجو من سطوة بأسنا فاضرب السكة في مصر باسمنا وكذلك الخطبة وتكون نائب عنا بمصر ، ولك من غزة إلي مصر ولنا من الشام إلي الفرات . وإن لم تدخل تحت طاعتنا ادخل إلي مصر واقتل جميع من بها من الأتراك (الشراكسة) [1] .

علم السلطان سليم بما آل إليه مصير رسله الذين أوفدهم إلي مصر بالرسالة المذكورة فصمم علي السير إلي مصر لإزالة الوجود المملوكي بها وضمها إلي أملاك الدولة العثمانية الواسعة . ولما أرسل في إستدعاء خاير بك [2] . واستشاره في الأمر ، فعرضه خاير بك علي السير إلي مصر وإسقاط الدولة المملوكية ، إلا أن

---

(١) أنظر النص الكامل لرسالة السلطان سليم إلي طومان باي في الوثيقتين التاليتين :
دفتر المهمة رقم (٥) وثيقة رقم (٢١٢٧) ٢٨ ذو القعدة سنة ٩٢٢ هـ .
لم يذكر إسم المرسل والمرسل إليه .
ووثيقة رقم (٢١٣٠) ٢٨ ذو القعدة سنة ٩٢٢ هـ .
لم يذكر إسم المرسل والمرسل إليه .

(٢) خاير بك : أمير مملوكي يشغل منصب نائب حلب ، وكان يتولي قيادة الميسرة في جيش السلطان قانصوه الغوري في معركة مرج دابق ، كان له دور كبير في هزيمة المماليك في هذه المعركة . حيث أشاع أن السلطان الغوري أمر أتباعه بعدم القتال حتي يقاتل القرانيص وحدهم ، وهم المماليك القدماء ، وبسبب هذه الإشاعة فترت همة القرانيص وتوقفوا عن القتال ، وأشاع كذلك أن السلطان الغوري قد قتل ، ولاذ خاير بك وأتباعه بالفرار من المعركة ، وبذلك ساعد العثمانيين علي تحقيق النصر بخيانته هذه ، ولقد أنضم إليهم بعد ذلك وعينه السلطان سليم نائباً علي مصر عندما رجع سليم لبلاده .

السلطان سليم لم يكتف بهذه المشورة فاستشار الصدر الأعظم سنان باشا فأشار عليه بعدم الإقدام علي محاربة المماليك والدخول إلي مصر ، لأن ذلك سيعرضهم إلي مشكلات لا حصر لها قد تؤدي بهم إلي الهلاك والدمار ، لكن السلطان سليم لم يقتنع بهذه المشورة وبعد تداول الأمر مع عدد من الأمراء العثمانين والقادة العسكريين الذين أجمعوا علي وجوب إسقاط الدولة المملوكية في مصر ، تحرك السلطان سليم بجيوشه قاصداً مصر وعبر وادي كنعان يوم الجمعة ٢٥ ذي القعده / ١٩ ديسمبر من السنة نفسها ، واحتل في طريقه مدينة « صفد » وعيّن عليها ابن المنتصر [١] .

كما تحرك الصدر الأعظم « سنان باشا » علي رأس أربعة آلاف جندي إلي غزة ، وجرت معركة حامية بينه وبين الجيش المملوكي بقيادة " دولة باي " نائب غزة بالقرب منها ، وكان ذلك يوم الجمعة ٢ ذي الحجة / ٢٦ ديسمبر ، واستمرت هذه المعركة من الصباح إلي ما قبل الغروب وكان النصر فيها حليف الجيش العثماني وقتل في هذه المعركة الكثير من بينهم " دولة باي " ونائب الإسكندرية وجماعة من الأمراء المماليك [٢] .

لم يتحرك المماليك لدفع الخطر عنهم إلاّ في أواخر ديسمبر سنة ١٥١٦ م حيث خرجت حملة بقيادة « جان بردي الغزالي » لكنه لما رأي أنّ العثمانين استولوا علي غزه تركها متجهاً شمالاً حيث تظاهر بإشتباك مع العثمانين في معركة تشيلية قرب " بيسان " [٣]، وأوهم المماليك أنه تعرض للهزيمة فيها ، وذلك حتي يسهل

---

(١) إبراهيم العبيدي ، قلائد العقيان من مفاخر دولة آل عثمان ، طبع في مصر سنة ١٣١٧هـ ، ص ٦٠ و ٦١ .

(٢) ابن طولون ، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، القسم الثاني ، تحقيق « محمد مصطفي » ، طباعة الدار المصرية ١٩٦٤ ، ص ٤٤ .

(٣) بيسان : مدينة بالأردن تقع بين حوران وفلسطين .

وفي يوم الجمعة ٩ ذي الحجة ٩٢٢ هـ / ٢ يناير ١٥١٧ م رحل السلطان سليم إلي غزة ، وانضمت تحت قيادته كل الفرق التي كانت خاضعة للصدر الأعظم "سنان باشا" وأقام فيها السلطان سليم ستة أيام احتفل فيها بعيد الأضحي المبارك وأخذ يستعد للتحرك صوب مصر (١) .

بلغت الأخبار طومان باي فأخذ يعد العدة ويجهز الجيوش للقاء القوات العثمانية ، لكن المماليك في ذلك الظرف العصيب أظهروا الكثير من الإستهتار والإستهانة بالموقف ، وتخاذلوا ورفضوا الخروج ، ولم يكتفوا بذلك ، بل وصل بهم الأمر إلي التطاول علي سلطانهم " طومان باي " ولكن ذلك السلطان تجاهل ما سمعه ، وأنّبهم علي موقفهم المتخاذل ، وانشغالهم بالفوضي والفتن مما أتاح المجال للجيش العثماني بإقتحام الحدود المصرية (٢) .

خرج طومان باي يريد " الصالحية " ، وما أن وصل الريدانية الواقعة خارج أسوار القاهرة من ناحية باب النصر والممتد حتي جبل المقطم ، حتي عسكر بها رغماً عنه ، عندما رفض جنوده التحرك منها فأضطر « طومان باي » إلي تحصين الريدانية ، وحفر بها خندقاً علي طول الخطوط الأمامية ونصب المدافع عليها ، وصف حولها العربات الخشبية التي صنعها في القلعة . وأمر بالمناداة في القاهرة لأرباب البضائع ، من الخيازين والجزارين ... بالتحول ببضائعهم إلي المعسكر الذي أقامه حتي يبيعون فيه للجنود ، وبذلك نشأت هناك سوق كبيرة وعلاوة علي ذلك أهتم " طومان باي " بإقامة حائط يستر به المدافع التي نصبها في الريدانية ، حتي

---

(١) دفتر المهمة رقم (٦) وثيقة رقم (٢٢٢١) وتاريخ ١٢ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ من الصدر الأعظم سنان باشا إلي مقام الصدارة العظمي في استانبول .

(٢) دفتر المهمة رقم (٦) وثيقة رقم (٢٢٢٧) وتاريخ ١٣ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ (لم يذكر إسم المرسل الي الصدر الأعظم سنان باشا لغزة .

قيل أنّ السلطان « طومان باي » كان يحمل بنفسه الحجارة مع البنائين [1] .

بالرغم من هذه الاستعدادات الضخمة إلاّ أن المماليك كانوا يحسون بضعفهم ، وكان بعضهم يتسلل ليلاً إلي القاهرة للمبيت فيها . ولهذا عاني طومان باي المتاعب في سبيل إعداد الجيش وتهيئته . أما السلطان سليم فواصل سيره نحو مصر حتي وصل إلي خان يونس يوم الجمعة ١٦ ذي الحجة / ٩ يناير ١٥١٧ م ومنها اتجه إلي العريش [2] ومنها إلي " الصالحية " وأقام بها يوماً ، ثم أكمل سيره إلي بلبيس [3] حتي وصلها يوم الأحد ٢٥ ذي الحجة ، ومكث بها مدة يومين . وأثناء إقامته بها وفد عليه « أحمد بن بقر » شيخ بني " وائل " ومعه أولاده [4] ليعلن توهبته وولائه للعثمانيين فأقره السلطان " سليم " علي ما تحت يده من بلاد وأرزاق ، وكان هذا الولاء من هؤلاء البدو عاملاً هاماً في نجاح الجيش العثماني وتقدمه لأخضاع مصر [5] .

---

(١) إبراهيم طرخان ، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ، الخرطوم ١٩٥٩ م ، ص ١٨٨ . جلال يحيي ، العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ، ص ٣٦١ .

(٢) مدينة بمصر تشرف علي الشام ، تقع علي ساحل البحر المتوسط .

(٣) مدينة بينها وبين القسطاط ٥ كيلو متراً تقع علي طريق الشام ، يسكنها عبس بن بغيض فتحت في سنة ١٩ هـ علي يد عمر بن العاص .

(٤) أولاد أحمد بن بقرهم : عبد الدايم ، ويجرس ، والخبرامي ، وخاطر .

(٥) لمزيد من التفاصيل عن تحرك السلطان سليم وجيشه من غزة إلي العانكاه أنظر الوثائق التالية :

دفتر المهمة رقم (٩) وثيقة : رقم (٢٢٣) ٢٧ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ من الصدر الأعظم سنان باشا إلي مقام الصدارة في استانبول ووثيقة رقم (٢٢٣٥) ٢٨ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ . من الصدر الأعظم سنان باشا إلي مقام الصدارة في استانبول ووثيقة رقم (٢٢٣٨) ٢٩ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ من الصدر الأعظم سنان باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول .

ترك الجيش العثمان بلبيس متجهاً نحو مدينة " الخانكاه " [1] ولكنه تعب في الطريق وأنهكهم الجوع والعطش ولما علم السلطان طومان باي بذلك أراد التحرك لملاقاتهم مستغلاً في ذلك تعب الجيش العثماني . لكن الأمراء والقادة المماليك منعوه من ذلك . ولو التقي معهم طومان باي لربما انتصر عليهم وأعاق سيرهم نحو مصر . ولكنه اضطر إلي البقاء في الريدانية نزولاً علي رغبة القادة والجيش المملوكي.

وقد تعرض السلطان " سليم " وجيشه في " الخانكاه " لهجوم «عرب السوالمه» الذين كانوا يغيرون علي المعسكر العثماني علي حين غرة إلاّ أنّ السلطان "سليم" نجح في القضاء عليهم وأسر أعداداً كبيرة منهم [2] .

---

(١) الخانكاه : كلمة فارسيه معناها بيت العبادة . وأول خانكاه بمصر أنشئت في زمن صلاح الدين بن يوسف بن أيوب سنة ٦٥٩ هـ . أوقف عليها عدة أملاك يصرف من ريعها . ثم ضعف حال الخانكاه واستبدل بها التكايا محل إقامة الفراويش الأعاجم . (ابن زنبل : المصدر السابق ، ص ٤٩) .

(٢) دفتر المهمة رقم (٥) وثيقة رقم (٢١٥) وتاريخ ٢٩ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ من السلطان سليم إلي إبنه سليمان في إستانبول .

معركة الريدانية

تحركت الجيوش العثمانية ، من الخانكاه ، ووصلت إلي بركة الحاج في يوم الأربعاء ٢٨ ذي الحجة ٩٢٢ هـ / ٢١ يناير ١٥١٧ م ، وما أن سمع أهالي القاهرة بخبر وصولهم حتي أضطربت أحوالهم . وأغلقوا أبواب المدينة [١] ، خوفاً من إقتحام العثمانين لهم . أما السلطان " طومان باي " فلما بلغه خبر وصولهم نادي بالخروج لهم وضرب الحصار ومعه جماعات من العرب وطبقوا عليهم الخناق » ، وكانت الجيوش العثمانية منهكة القوي لما أصابها من العطش ، فحال المماليك بينهم وبين الماء . إلاّ أنّ الصدر الأعظم « سنان باشا » ضرب عليهم المدافع فتعرقوا [٢] .

كان فرسان المماليك الجراكسة [٣] يشنون الغارات علي المعسكر العثماني ، وكل من وجدوه في طريقهم من العثمانيين قتلوه وقطعوا رأسه وأتوا به لطومان باي

---

(١) للقاهرة ثمانية أبواب : زويلة ، الفرج ، النصر ، الفتوح ، المحروق ، البرقية ، سعادة ، الجسر « القناطرة » .

(عبد الرحمن زكي : القاهرة تاريخها وأثرها ، مطبعة الدار المصرية ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ ، ص ١٥ - ١٧) .

(٢) السير وليام مور ، تاريخ دولة المماليك في مصر ، ١٢٦ هـ / ١٥١٧ م ، ترجمة محمود عابدين وسليم حسن ، مطبعة المعارف بمصر ، الطبعة الأولي ١٩٢٤ م ، ص ١٧٨ .

كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي ، الطبعة الأولي ١٩٤٨ م ، ص ٤٤٨ .

(٣) أصلهم من شمال بحر قزوين وشرق البحر الأسود ، قدموا إلي مصر بعد الزحف المغولي علي بلادهم ، اشتهروا بالقوة والشجاعة ، وكانوا من أرخص أنواع الرقيق البيض ، اشتراهم السلطان الناصر قلاوون ، وأسكنهم بجواره في أبراج القلعة ، ولقبوا بالمماليك البرجية وقد كثروا في أواخر عهده وازداد نفوذهم وسيطروا علي الحكم سنة ١٣٨٢ هـ . (عاشور ، المرجع السابق ص ص ١٤ - ١٦) .

الذي كان يرسله ليعلق علي أحد أبواب القاهرة . وبدأ طومان باي في الإستعداد للمعركة الحاسمة فأمر بإخراج المدافع الكبيرة إلي الجبل ، ووضع آلات الحرب في ساحة المعركة وافترح الغزالي علي السلطان « طومان باي » أن يدفنوها في الرمال حتي لا يكتشفها الجيش العثماني ، فتم ذلك . وفي صبيحة يوم الخميس ٢٩ ذي الحجة / ٢٢ يناير من السنة نفسها أمر السلطان سليم بالرحيل إلي الريدانية للاقاة الجيش المملوكي . وما أن انتصف ذلك اليوم حتي تلاقي الجيشان العثماني والمملوكي في الريدانية أمام قبر السلطان قايتباي قرب العباسية [1] كان الجيش العثماني منظماً علي النحو التالي: السلطان سليم في منتصف الجيش والصدر الأعظم سنان باشا علي قيادة الجناح الأيمن ، وإلي جانبه أمير الأناضول مصطفي باشا ، وخاير بك، وأمير ذو القادر علي باشا وعلي قيادة الجناح الأيسر الوزير الثاني يونس باشا ومعه الروملي كبوجك سنان باشا وأمير بني رمضان محمود بك[2] .

---

(١) قايتباي من أصل شركسي ، مولي السلطان جقمق . كان فارسا شجاعا ارتقي إلي عرش السلطنة من وظيفة أتابك . حافظ علي حياته بحاشية كبيرة جداً من المماليك المخلصين له . كان توليه السلطنة في سنة ٨٧٢ هـ ، سار في البلاد سيرة حسنة وقد [illegible]

[illegible]

(ابن تغري [illegible]) ، ٢٩٧ ـ ٣٠٠) .

(٢) لمزيد من التفصيل عن تنظيم الجيش العثماني في معركة الريدانية أنظر التقرير الذي بعث به الصدر الأعظم سنان باشا إلي مقام الصدارة في استانبول .

دفتر المهمة رقم (٦) وثيقة رقم (٢٢٤٩) وتاريخ ٢٩ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ من الصدر الأعظم سنان باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول ووثيقة رقم (٢٢٥٠) وتاريخ ٢٩ ذو الحجة سنة ٩٢٢هـ من الصدر الأعظم سنان باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول ووثيقة رقم (٢٢٦١) وتاريخ ٢٩ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ من الصدر الأعظم سنان باشا إلي مقام الصدارة في استانبول .

تقدم الجيش العثماني وكان الجيش المملوكي متحصناً في الخندق الذي حفروه في الريدانية ، وكان الجيش العثماني مدركاً ومتفهماً لطبيعة المدافع المملوكية الثقيلة التي يصعب دورانها للخلف بعكس المدافع العثمانية المتحركة [١] .

أرسل سليم بعض فرقه العسكرية لمواجهة الجيش المملوكي لمراوغته ، بينما سير الغالبية من جيشه إلي الجهة الجنوبية من الموقع الذي تحصن فيه المماليك . وأخذت هذه الفرق تهاجم المماليك من جبل المقطم ، وكان هذا الأسلوب الحربي الذي أنتهجه السلطان سليم في الريدانية بناءً علي مشورة بعض الأمراء المماليك الذين هربوا من معسكر " طومان " والتجأوا بالمعسكر العثماني [٢] .

اشتبك الفريقان وتبادلا الهجمات . وحمي وطيس المعركة التي تعتبر معركة البقاء والتي سيتقرر فيها مصير مصر ، ومستقبل المماليك الجراكسة .

أرتج الجيش المملوكي من هول ما رأي من إطباق الجيش العثماني من الخلف وأيقن طومان باي بالخدعة والمكيدة بدفن المدافع في الرمال، واستسلم للأمر الواقع [٣] .

---

(١) هذه المدافع مملوءة بالشظايا ، وهي أول مرة يستخدمها العثمانيون أثناء زحفهم علي مصر وهذا النوع من المدافع حقق نتائج رائعة ومذهلة في معركة الريدانية ، وهذا النوع من المدافع يقذف بمعدل ٥ إلي ١٠ قذائف متوالية ، وتوجد بعض المدافع من هذا النوع في المتحف الحربي بأستانبول . (أحمد متولي : الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له . دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٦ م ، ص ١٤٨) .

(٢) دفتر المهمة رقم (٦) وثيقة (٢٢٦٣) وتاريخ ٢٩ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ من الصدر الأعظم سنان باشا إلي مقام الصداره في إستانبول ووثيقة رقم (٢٢٦٥) وتاريخ ٢٩ ذو الحجة ٩٢٢ هـ من الصدر الأعظم سنان باشا إلي مقام الصداره في إستانبول .

(٣) ابن إياس : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٩٧ .

لكن أحد الدافع المملوكية أطلق قذيفة فتحت ثغرة في الجيش العثماني فهال الأمر السلطان سليم الذي سرعان ما استدعي خاير بك واستفسر عمّا حدث فأخبره خاير بك بأنّ الذي فعل ذلك إنما هو رجل أخرس لم يدفن مدفعه في الرمل ولكنه تركه مكشوفاً وهرب [1] .

أما السلطان طومان باي فإنّه لما رأي ما حلّ بالجيش المملوكي ، انطلق ومعه الأمير علان والأمير كريتباي كالسهام مخترقين الصفوف العثمانية ، قاصدين خيمة السلطان سليم حتي بلغوها . إلاّ إن سليم لم يكن بداخل خيمته . إنما كان بداخلها الصدر الأعظم سنان باشا و «محمود بن رمضان » ... واقتحم طومان باي ومن معه الخيمة وأمسكوا بالصدر الأعظم سنان باشا وقتلوه ظناً منهم بأنه السلطان «سليم » وقتلوا كل من كان بداخل الخيمة . ارتج المعسكر العثماني لهول ما رأي وأثناء خروج « طومان باي » ومن معه من المعسكر العثماني مرّوا بالسلطان سليم ومعه خاير بك . ولكن لم يعرف كل منهم الآخر [2] .

لما بلغ السلطان « سليم » خبر مقتل الصدر الأعظم سنان باشا والقائدين اللذين كانا معه ، حزن علي ذلك حتي قيل أنه بكي علي وزيره « سنان باشا » حتي قال بعدما تم له ضم مصر " استولينا علي مصر ، لكننا فقدنا سنان باشا . خسارتنا لا يمكن أن تعدلها دولة " [3] .

---

(١) دفتر المهمة رقم (٧) وثيقة رقم (٣٣١) وتاريخ ٣ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ من السلطان سليم إلي إبنه سليمان في إستانبول .

ووثيقة رقم (٣٣١٢) وتاريخ ٣ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ من السلطان سليم إلي إبنه سليمان في إستانبول .

(٢) العبيدي : المرجع السابق ، ص ٦٤ و ٦٥ .

(٣) دفتر المهمة رقم (٧) وثيقة رقم (٣٣١٥) وتاريخ ١ محرم سنة ٩٢٣ هـ من السلطان سليم إلي إبنه سليمان في استانبول .

شدّد العثمانيون هجماتهم على المماليك . وفكروا من إلحاق الهزيمة بالجيش المملوكي وتشتيته . ورجع " طومان باي " إلى معسكره فلم يجد أحداً فولى هارباً والجيش العثماني في أثره . وأصيب الأمير «علان» بكسر في رجله وحمل على جنيب [1] وأرسله طومان باي إلى تتاطر " بني وائل " وسار هو ومن معه حتى بلغوا بركة الحبش ، ونزلوا بها فترة من الزمن ثم ساروا حتى انتهوا إلى طره [2] ، وهناك وافاه المزيدون له حتى بلغوا سبعة آلاف فارس وساروا معه قاصدين ناحية الشرق .

بعد الهزيمة الساحقة التي تعرض لها المماليك في معركة الريدانية أصبح المجال مفتوحاً للعثمانيين لدخول القاهرة دون أي مقاومة . ففي اليوم التالي للمعركة يوم الجمعة ٣ ذي الحجة ٩٢٢ هـ / يناير ١٥١٧ م دخلت فرق الإنكشارية التي أرسلها « سليم » للقاهرة ونصحبتهم وزراء الدولة والخليفة العباسي " المتوكل على الله " وقضاة الشافعيه والمالكية والحنبلية والحنفيه. وأخذت مواكب الجيش العثماني تشق شوارع القاهرة وتادوا بالأمان للسكان ، وكان من عنده مملوك جركسي عليه أن يحضره للسلطان العثماني وأن من يخالف ذلك يعرض نفسه للقتل أو العقوبة ، ودعي للسلطان العثماني " سليم الأول " من على المنابر .

وعندما أقيمت صلاة الجمعة في المساجد دعا الخطباء للسلطان سليم قائلين :

(أ[illegible] السلطان بن السلطان [illegible] وقاهر [illegible] وحامي الحرمين [illegible] ، أظلك القسم محيم [illegible] فيهم انصره نصراً عزيزاً [illegible] له فتحاً مبيناً يا مالك الدنيا والآخرة ، يارب العالمين) [3] .

---

(١) الجنيب : هو الفرس الذي يسير بدون راكب إلى جانب فرس آخر مركوب .

(٢) طره : بلدة واقعة على خط سكة حديد حلوان جنوب القاهرة بها اليوم مصنع لإستخراج الإسمنت من محاجر جبل القطم المشرف عليها من الشرق .

(٣) ابن إياس : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٩٨ .

دفتر المهمة رقم (٧) وثيقة رقم (٣٣١٧) وتاريخ ١ محرم سنة ٩٢٣ هـ من أمير الأناضول مصطفي باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول ووثيقة رقم (٣٣٢٨) وتاريخ ١ محرم سنة ٩٢٣ هـ من أمير الأناضول مصطفي باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول ووثيقة رقم (٣٣٣٠) وتاريخ ٢ محرم سنة ٩٢٣ هـ من أمير الأناضول مصطفي باشا (لم يذكر إسم إليه) .

أرسل السلطان سليم الانكشارية للوقوف علي أبواب المدينة لمنع اقتحام البيوت ، والبحث عن المماليك الجراكسة . لهذا شرعت فرق الانكشارية تجوب ميادين القاهرة للقبض علي الأمراء المماليك من المقابر والأزقة والخرائب . وكل من أمسكوا به ، أرسلوه إلي السلطان في معسكره ليضرب عنقه . وقبض بعض مشايخ العربان علي الأتابك " سودون الذوي داري " . وأتوا به للسلطان " سليم " الذي وبخه بالكلام لموقفه المعادي منه .

ويذكر ابن إياس في روايته أنه لما أوتي " بسودون الذوي داري " إلي السلطان سليم كان مجروحاً أو يعاني من سكرات الموت ، فلم يشفق عليه ، وأركبه علي ظهر الحمار وألبسه ملابس رثه نكاية به ، كما يذكر في روايته تلك أنّ الإنكشارية وهي تجوب أحياء القاهرة وضواحيها للبحث عن المماليك الجراكسة ، نهبوا البيوت ، وهدموا المقابر وقتلوا من بها سواء من المماليك المختبئين أو السكان القاطنين بها من غير المماليك ، وذكر ابن إياس أنه قتل في يوم واحد ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين من سكان ضواحي القاهرة ، وأنه قتل من المماليك الشراكسة ما يزيد عن أربعمائة شخص ، وأخذوهم إلي الريدانية وفصلوا رؤوسهم عن أجسادهم وجمعوا تلك الرؤوس وعلقوها علي حبال نصبت علي أعمدة ، وامتلأت شوارع وأزقة القاهرة بالجثث المشوهة التي بدون رؤوس [1] .

وأري من وجهة نظري أن إياس قد بالغ في سرده للأحداث ، ولا يستغرب عليه ذلك فهو سليل أسرة شركسية ، وكثيراً ما كان يطلق العنان لشعوره وعواطفه ، حتي أننا نراه في سرده للأحداث يحمل علي العثمانيين ويلقبهم بالسفاكين تارة وبالظلمة تارة أخري ، في عبارات شديدة ، وأحياناً مؤثرة ، ومن الغريب أنه كان متردداً مضطرباً في عواطفه نحو العثمانيين في بعض الأحيان ، فبينما يحمل علي

---

(١) ابن إياس : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٩ .

سليم ويعدد جرائمه . نراه في موقف اخر يترحم عليه حين يذكر وفاته ويلقبه بنفس (الملك المظفر) [1] ولهذا فمن الصعب التعرف علي حقيقة المؤثرات التي دفعته لمخالفة حقيقة عواطفة . وربما أنه دوّن تاريخه في عهد إضطراب وفتنة . فكان متردداً بين الذم والمدح .

وفي يوم الأحد ٢ محرم ٩٢٣ هـ قدم الأمير " محمد بن قانصوه الغوري " إلي السلطان سليم في معسكرة بالريدانية ، وعرض عليه الطاعة ، فقبلها سليم وأمّنه علي حياته وماله ومنحه مدرسة أبيه التي أنشأها في الشرابشين للسكن فيها، وأسكن الدفتردار أحد وزراء السلطان سليم في بيت الأمير محمد قانصوه الغوري [2] .

---

(١) ابن أياس : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٣٦ .

(٢) دفتر المهمة رقم (٧) وثيقة رقم (٣٣٣٧) وتاريخ ٢ محرم سنة ٩٢٣ هـ من الوزير الثاني يونس باشا (لم يذكر إسم المرسل إليه) .
السير وليام مور : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

معارك القاهرة

توجه السلطان " سليم " بعد إنتصاره قاصداً القاهره ودخلها في موكب حافل من باب النصر ، [1] وقد ارتفعت الأصوات بالدعاء للسلطان العثماني ، وضاقت شوارع القاهره بالجيش العثماني ومرّ الموكب بباب زويله قاصداً بولاق (الجزيرة الوسطانيه) وعسكر بها [2] .

وفي يوم الثلاثاء ٤ محرم ٩٢٣ هـ / ٢٧ يناير ١٥١٧ م قدم اثنان من الجنود المماليك للقاهره هاربين من الجيش المملوكي الذي تنقل مع طومان باي لمحاولة إستعادة الحكم من العثمانيين . وأطلعا السلطان " سليم " بعزم " طومان باي " ومن معه بالهجوم الفاجيء علي القاهره لمباغتة العثمانيين [3] وقد تم ذلك ودخل معه نحو سبعة الاف من أتباعه من المماليك إلي القاهرة في ليلة الأربعاء ٥ محرم ٩٢٣ هـ ونزل في الشيخرخة [4] وتفرق جيش " طومان باي " في المدينة

---

(١) موضعه الأول بالرجبه المواجهة أمام جامع الحاكم قرب المكان الذي شغله الباب الحالي (عبد الرحمن زكي المرجع السابق ، ص ١٥) .

(٢) ابن طولون : المصدر السابق ، ص ٤٦ .

(٣) لمزيد من التفصيل عن المعلومات التي أدلي بها الجنود المماليك الفارين من الجيش المملوكي للسلطان " سليم " أنظر :
دفتر المهمة رقم (٧) وثيقة رقم (٣٣٤) وتاريخ ٥ محرم سنة ٩٢٣ هـ من الوزير الأعظم "يونس باشا " إلي مقام الصدارة في إستانبول ووثيقة رقم (٣٣٤٥) وتاريخ ٥ محرم سنة ٩٢٣ هـ من الوزير الأعظم " يونس باشا " إلي مقام الصدارة في إستانبول .

(٤) تطلق علي المنطقة الموجودة بشارع الصليبيه حول مسجد شيخون وكانت من جملة قطائع ابن طولون وكانت هذه المناطق مساكن إشتراها شيخون " سيف الدين الناصري " (ابن زنبل : المصدر السابق ، الحاشيه ، ص ٢٥) .

وسدوا الطرق والمداخل الرئيسية وتحصنوا بالبيوت . وقتلوا في تلك الليلة الكثير من الجنود العثمانيين [1] .

وفي هذا دلالة كبيرة علي أنّ قوة المماليك لا تزال باقية ، وأنه كان في وسعهم الإستمرار في المقاومة ومحاولة إسترجاع سلطتهم علي البلاد.

وما أن بلغ الخبر للسلطان " سليم الأول " حتي أمر بإرسال فرقة من الإنكشارية بقيادة وزيره الأعظم " يونس باشا " ومعه " مير ميران " ، و " مصطفي باشا " ، و " أياس أغا " ، و " أمير العلم " [2] لقتال طومان باي .

التقي الطرفان واشتد القتال بينهم من وراء السدود ، واستمر من طلوع الفجر إلي ما بعد الغروب من وراء السدود ، المنصوبة في الشوارع والأسواق ، وفي صباح يوم الخميس ٦ محرم هجمت القوات العثمانية علي الناصرية وقبضوا علي العديد من المماليك ، وفرّ " طومان باي " من الناصرية إلي الصليبية ، ومنها إلي تناطر السباع في نفر قليل من جنده ، وأمر بحفر عدة خنادق في الصليبية وتناطر السباع والرميله وجامع بن طولون ، وقسّم جيشه إلي أربع فرق ، الأولي ، وجهها إلي تناطر السباع ، والثانية إلي الرميله ، والثالثة إلي جامع بن سلطان ، والأخيرة إلي باب زويله ، وظهر " طومان باي " في القاهرة وخطب باسمه في المنابر في يوم الجمعة ، وكان في الجمعة السابقة قد خطب باسم السلطان " سليم " وقد استمر "طومان باي " في معاركه مع العثمانيين ، وكان يقتل كل يوم منهم أعدادا كبيرة ،

---

(١) يذكر ابن إياس في تاريخة أنّ " طومان باي " هاجم المعسكر العثماني ببولاق ، وقتل الكثير من العثمانيين وأحرق العديد من خيامهم ، وأحدث النزاع والإضطراب في المعسكر وبهذه الرواية يخالف ابن إياس بقية المؤرخين المعاصرين لتلك الأحداث سواء أتراك أو عرب والذين شاهدوها ونحن لا نوافقه علي ما ذكر ، لأنه اعتمد في رواياته علي أصدقائه بدليل قوله " أشيع " (ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٢) .

(٢) هو الذي يتولي أمر الأعلام والسناجق والرايات السلطانية ويشترط فيه الدراية بنوع الاعلام اللازمة لكل موكب من المواكب السلطانية .
(سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ص ٤١٥) .

لا شك أنّ هذه المعارك أثرت علي معنويات العثمانيين ، حيث أنهم لم يعتادوا علي حرب الحارات والشوارع مما جعلهم يخشون علي سلطتهم ، بل حتي علي سلامة أرواح قواتهم الموجودة بالقاهرة . ويظهر هذا التأثير من قوة حركة رد الفعل التي قام بها العثمانيون ، والتي أخذت شكلاً واضحاً للإنتقام من القاهرة وضواحيها . لذلك صبوا جام غضبهم في الصليبية ، وأحرقوا سقف الديوان الكبير والقبة التي كانت عليه بسبب إختفاء " طومان باي " في هذا الديوان وقت المعارك في القاهرة ، كما أحرقوا البيوت المحيطة به وألقي العثمانيون القبض علي كثير من الأهالي وعملوا السيف فيهم ، حتي أصبحت جثثهم منتشرة علي الطرقات والأزقة والأسواق . وأخذ العثمانيون يجوبون الحارات والأزقة والبيوت بحثاً عن المماليك ، وحتي في المساجد والجوامع ، وهاجموا الجامع الأزهر وجامع الحاكم وجامع ابن طولون ، وغيرها من الجوامع والمدارس ، وكانوا يقتلون من يجبر المماليك ، وقيل أنهم قبضوا علي ثمانية جراكسة ، وأتوا بهم إلي السلطان سليم في الرميله ، فأمر بضرب أعناقهم ، وأمر بإحراق البيوت التي كانوا يتحصنون فيها [1] .

وليس أدل علي ما فعله العثمانيون بعد هزيمتهم لطومان باي من الرسالة التي أرسلها السلطان سليم إلي أمير دمشق وقاضي القضاة بها : " وفي هذه الثلاث أيام يستمر القتال من الصبح حتي العشاء ، ويعون الله تعالي قتلنا جميع الجراكسه ، ومن انضم إليهم من العربان ، وجعلنا دمائهم مسفوحة وأبدانهم مطروحة ، ونهب عسكرنا قماشهم وأثاثهم وديادهم وأموالهم ... ثم سارت أبدانهم للهوام "[2] .

---

(١) محمد عبد المنعم السيد الراشد ، الغزو العثماني لمصر ونتائجه علي الوطن العربي ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، ص ١٨٩ و ١٩٠ .

(٢) دفتر المهمة رقم (٨) وثيقة رقم (٥٤٤) وتاريخ ١٠ محرم سنة ٩٢٣ هـ من السلطان "سليم" إلي أمير دمشق وقاضي القضاة .

وفي يوم الثلاثاء ١١ محرم / ٣ فبراير أسند السلطان " سليم " منصب الصدر الأعظم إلي " يونس باشا " بعد مقتل سنان باشا الصدر الأعظم سابقاً في معركة الريدانية ، وعيّن فرقة من جيشه لتتولي الإشراف علي القاهرة . [١] أما السلطان " سليم " فقد توجه في موكب حافل الي القلعة لأول مرة ، ثم عاد إلي معسكره في بولاق واستبشر بما تم له من نصر علي المماليك ، فأرسل رسالة إلي أمير الشام وقاضي القضاة بها . ضمنها ما جري له من بداية زحفه علي مصر وحدوث معركة الريدانية ، وانتقاله إلي معسكره في بولاق ودخوله القاهرة ، ومحاربته المماليك وهروب طومان باي [٢] .

بعد أن أنتهت معارك القاهرة اختفي " طومان باي " ، ولم يكن لدي "السلطان سليم " معلومات مؤكدة عن مصيره . وبعد فترة من الزمان علم بعض الأسري المماليك أنّ السلطان طومان باي لا يزال علي قيد الحياة - وأثناء تلك الأحداث قُبض علي يشبك الداودري ، فمنحه السلطان " سليم " الأمان وذلك نظراً لما يمكن أن يدلي به من معلومات هامة عن توايا " طومان بادي " وعن حالته وتجهيزاته العسكرية بحكم مركزه في الدولة المملوكية .

قام أحد العثمانيين باستجواب " يشبك " ، وكتب تقريراً بأقواله وآرائه . وتضمن هذا التقرير معلومات هامة منها هروب " طومان باي " إلي البر الغربي من النيل عند تعرضه لهجوم الجيش العثماني ، وحدد أحد الطريقين اللذين يمكن أن

---

(١) دفتر المهمة رقم (٨) وثيقة رقم (٥٤٤١) وتاريخ ١١ محرم سنة ٩٢٣ هـ من السلطان "سليم " إلي إبنه وولي عهده " سليمان " ، ووثيقة رقم (٥٤٤٣) وتاريخ ١١ محرم سنة ٩٢٣ هـ من السلطان " سليم " (لم يذكر إسم المرسل إليه) .

(٢) دفتر المهمة رقم (٨) وثيقة رقم (٥٤٤٨) وتاريخ ١٢ محرم سنة ٩٢٣ هـ من السلطان "سليم " إلي أمير دمشق وقاضي القضاة . ووثيقة رقم (٥٤٥٠) وتاريخ ١٢ محرم سنة ٩٢٣ هـ من السلطان " سليم " إلي قاضي قضاة دمشق .

يسلكهما طومان باي أثناء هروبه ، وهما شاطيء النيل ، أو الطريق المؤدي إلي مناطق الأعراب كطريق ابن عمر وابن واصل الأحطب [1] .

أرسل السلطان " سليم " وهو في معسكره بالجزيرة الوسطانية يستدعي خاير بك لإستشارته في أمر المماليك المتبقين في القاهرة بعد هروب طومان باي . فأشار عليه خاير بك بإعطائهم الأمان وإعطائهم مهلة ثلاثة أيام . وقد أستحسن السلطان سليم هذا الرأي ، ورفع فوق خيمته راية حمراء بإقتفاء أثرهم ، وأصدر إعلاناً أمر فيه الأهالي أو نوابه بالأماكن التي يختبئون فيها ، وأعطاهم مهلة ثلاثة أيام ، وهددهم بأنّ من وجد عنده مملوكي فإنه معرض للقتل [2] .

وتهافت الأهالي إلي خاير بك يخبرونه عن الأماكن التي يختبيء بها المماليك . فسارع بإرسال الفرق للقبض عليهم ، وإرسالهم إلي معسكر السلطان سليم لقتلهم .

وبعد أيام قلائل وسع عفو السلطان " سليم " الأمراء المماليك ، وكتب عهداً وأماناً للمماليك الجراكسة المختبئين . وأمرهم بالظهور والإتجاه إلي مدرسة السلطان الغوري ، وظهر من أمراء المماليك كل من اركماس ، أنسباي ، والأمير قر الحسني ، وقانصوه أبو سنة ، ومصر باي ، وبشبك الذي كان مختبئاً في الجامع الأزهر ، . .

اجتمع هؤلاء الأمراء في مدرسة السلطان الغوري وكان عددهم يتجاوز الخمسين وأحاطت بهم فرقة من الجيش الإنكشاري العثماني ، ومضوا بهم إلي

(١) أنظر نص التقرير والمعلومات التي أدلي بها " بشبك " في الوثيقتين التاليتين :
دفتر المهمة رقم (٨) وثيقة رقم (٦٥٥٣) وتاريخ ١٥ محرم سنة ٩٢٣ هـ ، مرتفعة من أحد الكتّاب (لم يذكر إسمه) إلي السلطان " سليم " ووثيقة رقم (٦٥٥٧) وتاريخ ١٦ محرم ٩٢٣ هـ مرتفعة من أحد المحققين (لم يذكر إسمه) إلي السلطان " سليم "

(٢) دفتر المهمة رقم (٩) وثيقة رقم (٦٥٦) وتاريخ ١٥ محرم سنة ٩٢٣ هـ من السلطان "سليم" (القاهرة) إلي إبنه " سليمان " (إستانبول) . ووثيقة رقم (٦٥٦٣) وتاريخ ١٦ محرم سنة ٩٢٣ هـ من السلطان " سليم " إلي أمير دمشق وقاضي القضاة

معسكر السلطان " سليم " وبعد أن ذكّرهم الأخير بما قاموا به من أعمال ظالمة أثقلت كاهل الشعب المصري . أمر بإرسالهم إلي القلعة للإحتفاظ بهم [1] .

وكان من جملة المختبئين الأمير كرتباي الوالي المصاب في فخذه ، وكان مختبئاً عند صديقه يحيي بن بكر الذي ما ليث أن سمع النداء حتي هبّ للذهاب إلي معسكر السلطان " سليم " لأخذ الأمان لكرتباي ، وأستبشر السلطان لهذا الطلب وأرسل مع المندوب منديل الأمان والمصحف وكتب له كتاباً ، وأمره بالقدوم إلي معسكره .

قدم يحيي بن بكر والأمير المملوكي كرتباي إلي معسكر السلطان ودارت مناقشة حادة بينهما ، أصدر السلطان بعدها أمره بقتل الأمير كرتباي جزاءاً لما تلفظ به من ألفاظ أغضبت السلطان سليم [2] .

أما طومان باي فبعد هزيمته في معارك القاهرة فقد فرّ من موقعه في الصليبية ، وتوجه إلي الوجه القبلي في الصعيد ، واستقر في البهنسا ، ومن هناك أخذ في منع وصول الغلال إلي القاهرة ، فوقع فيها الغلاء ، وفي الصعيد التف حوله الكثير من الأتباع والمؤيدين حتي قويت شوكته ، ولكنّه أدرك إستحالة الوقوف أمام الجيوش العثمانية الضخمة [3] .

وفي يوم الأثنين ١٧ محرم سنة ٩٢٣ هـ / ٩ يناير ١٥١٧ م أرسل " طومان باي " إلي السلطان " سليم " رسالة يفاوضه في الصلح وهذا نص الرسالة :

---

(١) دفتر المهمة رقم (٩) وثيقة رقم (٦٥٦٧) وتاريخ ١٧ محرم سنة ٩٢٣ هـ من الصدر الأعظم " يونس باشا " إلي مقام الصناره في (إستانبول) .

(٢) ابن زنبل ، الصدر السابق ، ص ٥٦ ، ٦٢ .
العبيدي ، الصدر السابق ، ص ٧٢ ، ٧٧ .

(٣) ابراهيم طرخان : المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

" إن كنت تروم أن أجعل الخطبة والسكة بإسمك وأكون نائباً عنك بمصر وأحمل إليك خراج مصر حسبما ما يقع عليه الإتفاق بيننا من المال الذي أحمله إليك في كل سنة فارحل عن مصر أنت وعسكرك إلي الصالحية وصن دماء المسلمين بيننا، ولا تدخل في خطيئة أهل مصر من كبار وصغار وشيوخ وإن كنت ما ترضي بذلك ، أخرج ولاقني في بر الجيزة ويعطي الله النصر لمن يشاء ... ولا تحسب أني أرسلت إليك أسألك في أمر الصلح عن عجز ، فإنّ معي ثلاثين أميراً ما بين مقدمي الوف وأربعينات وعشراوات ، ومعي المماليك السلطانية والعربان نحو عشرين ألفاً ، وما أنا بعاجز عن قتالك ولكن الصلح أصلح لصون دماء المسلمين"[1] .

يذكر ابن إياس في تاريخه أنّ السلطان " طومان باي " أرسل تلك الرسالة في أوائل شهر سفر [2] والأصح هو ما ذكرناه سابقاً أنها في ١٧ محرم . بدليل ما كتبه السلطان سليم بعدما أستتب له الأمر في القاهرة إلي إبنه الأمير " سليمان القانوني " في رسالة الفتوح في أواخر شهر محرم ، والتي ذكر فيها : " خرج طومان باي في زي النساء ثم اختفي . ولما استقصينا أخباره وجدناه قد دخل ولاية الصعيد ، وأرسل إلينا رسالة يتضرع فيها ... " إلي أن قال : " تحققنا في هذه الأثناء من مصطفي باشا أمير الرملي السابق ومن الجراكسة ، أنّ جان بردي الغزالي جاء في ذلك الوقت ، وأدي فروض الطاعة وأظهر العبودية ، والخضوع بإخلاص..."[3] " .

---

(١) دفتر المهمة رقم (٩) وثيقة رقم (٦٥٧.) وتاريخ ٢٢ محرم سنة ٩٢٣ هـ من الصدر الأعظم " يونس باشا " إلي مقام الصدارة في (إستانبول) ووثيقة رقم (٦٥٧٣) وتاريخ ٢٣ محرم سنة ٩٢٣ هـ من الصدر الأعظم " يونس باشا " إلي (إستانبول) . (لم يذكر إسم المرسل إليه) .

(٢) إبن إياس ، المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٠٩ .

(٣) أحمد متولي ، المرجع السابق ، ص ٢٠٢ و ٢٠٣ .

ومن المعلوم أن جان بردي الغزالي قدم إلي السلطان " سليم " طالباً الأمان في يوم الثلاثاء ١٨ محرم ، وهذا ما أثبته ابن إياس [١] وبذلك يكون السلطان "طومان باي " قد أرسل في مفاوضة الصلح مع " سليم " في اليوم السابق . وربما اشتبه الأمر علي ابن إياس ولم يتحقق من مصدر تلك الرواية .

وأثناء قدوم جان بردي الغزالي إلي معسكر السلطان " سليم " ببولاق لطلب الأمان ، كان معه ما يربو علي الثمانمائة من الأمراء والخدم ، ليقدموا فروض الولاء والطاعة للسلطان " سليم " ، فأكرمه سليم وآمنه علي نفسه وماله ، أمّا الوفد الذي قدم معه طلب الأمان فأودعوا السجن . وكان سبب قدوم الغزالي علي سليم أنّه أدرك بعدما طلب " طومان باي " الصلح مع " سليم " أنه لم يعد يقوي علي مقاومة العثمانيين مرة أخري . وربما لجأ إلي ذلك في هذا الوقت بالذات وقبل أن تستقر الأمور للعثمانيين تماماً خشية أن يفتضح أمره مما يوقعه تحت طائلة العقاب من قبل المماليك .

وبعد هدوء العاصمة ، وخلوها من المقاومة بعد هروب السلطان المملوكي "طومان باي " إلي الصعيد إتجه السلطان " سليم " في صبيحة يوم الأحد ٢٣ محرم سنة ٩٢٣ هـ / ١٥ فبراير ١٥١٧ م من معسكره الذي أقامه في بولاق قاصداً القاهرة ودخلها في إحتفال رسمي كبير . وأقام بها عدة أيام وصلي بها الجمعة في ٢٨ محرم / ٢٠ فبراير في جامع المؤيد .

ودعا له خطيب الجمعة بلقب خادم الحرمين الشريفين فأكرمه السلطان سليم وخلع عليه . وبذلك دخلت القاهرة في الحكم العثماني رسمياً ، وأصبحت منذ ذلك اليوم أكبر درة تزيّن التاج العثماني بعد الحرمين الشريفين [٢] .

---

(١) إبن إياس ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٦ .

(٢) جلال يحيي ، المرجع السابق ، ص ٦٥ .
أحمد متولي ، المرجع السابق ، ص ١٩٦ و ١٩٧ .

وبعد أن استتبت الأمور للسلطان سليم في القاهرة أرسل لإبنه الأمير "سليمان القانوني" الذي عينّه نائباً عنه في إدارة دفة الحكم في الدولة رسالة الفتوح في أواخر شهر محرم سنة ٩٢٣ هـ ضمنها أخباره وما جري له في المعارك التي دارت بينه وبين السلطان المملوكي قانصوه الغوري في موقعه مرج دابق ، وفي موقعة الريدانية مع السلطان " طومان باي " وفي داخل القاهرة ، وذكر له كيفية هروب طومان باي إلي الصعيد ، وبشرّه بتمام الفتح في نهاية الرسالة [١] .

---

(١) رسالة الفتوح عبارة عن مجموعة تقارير موجزة لخصّ فيها السلطان " سليم " أخباره منذ أن أتجه إلي بلاد الشام وحتي تاريخ الرسالة . وكان " سليم " علي إتصال دائم بإبنه وولي عهده " سليمان القانوني " ، يتضح ذلك من الرسائل الكثيرة التي كان يرفعها إلي إبنه " سليمان " في (إستانبول) وقد أدرجت بعض هذه الرسائل في الصفحات السابقة من هذا البحث .

معارك الجيزة .

في يوم الجمعة ٢٨ محرم وردت الأخبار إلي القاهرة بأنّ " طومان باي " خرج إلي بر الجيزة ، ومنها اتجه إلي عرب الهواره [١] طالباً منهم الإنضمام إليه ، وعرض عليهم رفع الخراج عنهم ثلاث سنوات . ولكنهم رفضوا مساندته خوفاً من قوة الجيش العثماني ، فانثني راجعاً وفي الطريق انضم إليه من العربان سبعة آلاف (٧٠٠٠) فارس .

وما أن وصل قرب اطفيح [٢] حتي قدم عليه من ثغر الإسكندرية خمسة آلاف (٥٠٠٠) فارس من الرماة بالبنادق وخمسين (٥٠) مدفعاً .

اجتمع " طومان باي " بقادته ومعهم غانم السيفي حاكم القيّوم واتفقوا علي مهاجمة المعسكر العثماني في الجزيرة الوسطانية .

غير أن غانم السيفي تحركت في نفسه الخيانة ، ورأي أن ينضم إلي معسكر السلطان سليم لأنه كان يدرك أن دور المماليك علي وشك الزوال . وما أن حلّ الظلام حتي خرج من المعسكر المملوكي ومعه الأمير أبو حمزه ومائتا مملوك . ودخل في طاعة السلطان سليم وكشف له خطة الهجوم المملوكي علي معسكره . وعلم "طومان باي " بخيانة غانم السيفي [٣] .

أرسل السلطان " سليم " جيشاً قوامه ستة وعشرون ألفاً (٢٦٠٠٠) مقاتل بقيادة غانم السيفي عن طريق النيل ، وكان يهدف " سليم " من وراء ذلك مقاومة "طومان باي " بمحاربته بمماليك من جنسه ، ولا سيما الأمراء منهم الذين خانوا دولتهم وانحازوا له منذ أيام حكم السلطان الغوري [٤] .

---

(١) قرية من أعمال مركز الفيوم .

(٢) بلد من أعمال محافظة الجيزة .

(٣) دفتر المهمة رقم (٩) وثيقة رقم (٦٥٨) وتاريخ ٩ صفر سنة ٩٣٢ هـ من غانم السيفي إلي السلطان " سليم " .

(٤) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

وتقابل الجيشان ، وخرج غانم السيفي للمبارزة . وبرز من المماليك الأمير دولتباي أمير الجيزة ، وأخذ كل منهما يستعرض قوته . والتحم الإثنان فتمكن دولتباي من إسقاط غانم السيفي عن جواده ، ونزل لقطع رأسه فهبت عليه القوات العثمانية والتحم الجيشان وتقاتلا حتي الليل . واجتمع " طومان باي " بقادته فتشاوروا في الإنقسام إلي فرقتين . فرقة بقيادة الأمير شاربك الأعور ، وتبقي خارج المعركة ، والفرقة الأخري بقيادة طومان باي وتبقي في ميدان المعركة . حتي إذا إشتدت المعركة وحمي الوطيس . هاجمت الفرقة التي خارج المعركة الجيش العثماني من الخلف ، وبذلك يتمكنون من الإطباق عليهم .

وفي صباح اليوم الثاني أطبقت الفرقتان المملوكيتان البالغ عدد كل منهما نحو ثمانية آلاف (٨٠٠٠) جندي علي العثمانيين . وما أن أنتصف النهار حتي هزم الجيش العثماني ، وولي فاراً نحو الشاطيء قاصدين مراكبهم ، فلم يجدوها ، وتعقبهم المماليك ، فأبادوا الكثير منهم ، ولجأ غانم السيفي وأبو حمزه وأياس أغا من القتل ، وغنم المماليك في هذه المعركة غنائم كبيرة من الأسلحة والمراكب . وقتل منهم نحو ألفين وثلاثمائة (٢٣٠٠) غالبيتهم من الرماة [١] .

ولما علم السلطان سليم بهزيمة جيشه أشتد غضباً . وأستدعي مستشاره "خاير بك " وعاتبه علي الإغرار به وبجيشه بدخول مصر وتسهيله له مهمة ضمها دون عناء ومشقة ، وذكر له أنه ملّ الحرب مع المماليك وعلي رأسهم سلطانهم "طومان باي " ، حتي أنه قال : " ولو أنّ طومان باي أعطاني الخطبة والسكة بإسمي لرجعت عنهم إلي الشام ، وما كنت دست هذه الأرض برجلي ، ولكنت مائلاً علي دماء قلوبهم ولا علي مالهم وأولادهم " [٢] .

---

(١) عمر عبد العزيز عمر . دراسات في تاريخ العرب الحديث (١) الشرق العربي من الفتح العثماني حتي نهاية القرن الثاني عشر ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ص ٧٩.

(٢) ابن زنبل ، المصدر نفسه ، ص ٦٩ و ٧٠ .

رجع غانم السيفي ورفاقه إلي معسكر السلطان سليم في بولاق ، واستدعي السلطان سليم وزراءه وأمراءه ومستشاريه ، وعقد إجتماعاً للتشاور في أمر السلطان طومان باي وأتباعه . ورأي السلطان " سليم " ألاّ يرفض الدخول في الصلح الذي عرضه طومان باي عليه ، بحسب الشروط التي ذكرها طومان باي فاستحسن الحاضرون رأيه . وكتب صورة معاهدة إليه في يوم الخميس ١٢ صفر / ٥ مارس . ووقّع عليها . وشكّل وفداً من الخليفة محمد المتوكل علي الله وقضاة المذاهب الأربعة وكبير القضاة أبو بكر بن عبد البر بن محمد ، وأخيه قاضي القضاة محمد بن عبد البر بن محمد الشهير بحسام الدين ، ومصطفي جلبي دفتردار الأثاضول السابق ، وبعض جنود السباهية [١] .

أمرهم السلطان " سليم " بالسير إلي البهنسا في الصعيد لحمل هذا العهد وتسليمه " لطومان باي " لكنّ الخليفة كره القيام بهذا الأمر ، وأرسل نائبه يرد بك بدلاً عنه .

يذكر ابن زنبل أنّ الوفد وصل إلي معسكر السلطان القريب من قتيبة بن حصيب [٢] والتقي بالسلطان " طومان باي " وسلموه العهد ، فأبدي " طومان باي" رغبته في القبول ، ولكن أمراءه لم يثقوا بوعود السلطان " سليم الأول " ولهذا خالفوا رأي قائدهم " طومان باي " وقتلوا غالبية الوفد ، ومن بينهم القاضيين أبو بكر وأخيه محمود ، والمندوب مصطفي جلبي دفتراادار الأثاضول سابقاً . وهرب الباقون [٣] .

---

(١) يذكر ابن زنبل أن عدد هؤلاء الجنود يربو علي الخمسمائة جندي ، وسبب إرسال السلطان "سليم" ذلك العدد الضخم مع الوفد هو خوفه من هجمات العربان علي الوفد في أثناء الطريق .

(٢) قرية مشهورة شمال اسيوط ، وهي منسوبة إلي الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر في عهد هارون الرشيد .

(٣) ابن زنبل ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .

ويذكر ابن إياس وابن الحنبلي أنّ الوفد العثماني تعرض للهجوم من فرقة الجراكسة قبل وصولهم إلبهنسا ، وبذلك يخالفون ما ذكره ابن زنبل في روايته . ونحن نؤيد رواية بن زنبل لأنه أقرب للحدث من مخالفيه . (ابن إياس ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩ ، ١) .

(ابن الحنبلي، دار الحبب في تاريخ أعيان حلب ، الجزء الأول من القسم الأول، ص ٣٨٦ و ٣٨٧)

وفي يوم الخميس ١٩ صفر بلغ الخبر سليماً بما آل إليه مصير الوفد الذي أوفده إلي السلطان طومان باي فغضب غضباً شديداً ، وأيقن أنّ خصمه لا يريد إلاّ الحرب ، ولذلك أخذ يعد العدة لحربه ، ونقل معسكره من الجزيرة الوسطانية إلي بركة الحبش وفي صباح يوم السبت ٢١ صفر نزل السلطان سليم من القلعة ومعه العديد من جيشه متوجهاً إلي بركة الحبش [١] .

أما السلطان طومان باي فقد أمر قواته بالمسير حتي أشرف علي بركة الحبش من الجهة الغربية المقابلة فرأي معسكر العثمانيين . وأقام بجيشه في بر الجيزه ، وأخذوا يتباحثون الأمر فيما يفعلونه بالتصدي للجيش العثماني . وبينما هم علي هذا الحال . إذ أقبلت فرقة علي رأسها الأمير رزمك الناشف ، واعتذر " لطومان باي "عن عدم مرافقته بعد الريدانية ، وبيّن له سبب ذلك وهو إصابته بجروح ، وأطلعه علي خيانة الغزالي الذي راسل الخائن خاير بك مستشار السلطان سليم بشأن المدافع ، وأنه أشار ـ الغزالي ـ علي الجند بردم المدافع تحت الرمال مما أعاق عملياته الهجومية . فأخبره السلطان " طومان باي " بأنه علي علم بخيانته منذ إرساله علي رأس جيش إلي غزه للدفاع عنها ضد العثمانيين ، ولكنه لن يقاتلهم وتظاهر بالقتال والهزيمة ورجع للريدانية [٢] .

أمر السلطان سليم وزيره يونس باشا بإحضار الأمراء المماليك المحتجزين في القلعة ، ولما مثلوا بين يديه ، استفهم منهم عن سبب تركهم " لطومان باي " والقدوم

---

(١) دفتر المهمة رقم (٩) وثيقة رقم (٦٥٨٢) وتاريخ ٢١ صفر سنة ٩٢٣ هـ من السلطان "سليم" (القاهرة) إلي إبنه " سليمان " (إستانبول) ووثيقة رقم (٦٥٨٤) وتاريخ ٢٣ صفر سنة ٩٢٣ هـ من الصدر الأعظم " يونس باشا " إلي مقام الصدارة في (إستانبول).

(٢) دفتر المهمة رقم (٩) وثيقة رقم (٦٥٨٨) وتاريخ ٢٣ صفر سنة ٩٢٣ هـ من عاطف باشا إلي السلطان " سليم " (القاهرة) ووثيقة رقم (٦٥٩١) وتاريخ ٢٣ صفر سنة ٩٢٣ هـ . (لم يذكر إسم المرسل إلي السلطان " سليم (القاهرة) .

إليه فأجابوه بأنهم يريدون الدخول في طاعته . ثم بعد ذلك أمر بضرب أعناقهم جميعاً وكانوا نحو الستين أميراً جركسياً ، نكاية بما فعله طومان باي من قتل بعض أعضاء الوفد العثماني الذي أوفده للمصالحة [١] .

كان من بين هؤلاء الأمراء من هو مقدم مائه [٢] أو أربعين أو عشرة من أمراء الجيش المملوكي الجركسي ، كما من بينهم من تقل وظائف كبري في الدولة المملوكية مثل الأمير تقطباي نائب القلعة ، وطقطباي حاجب الحجّاب [٣] ، والركماس أمير السلاح ثاني بك الخازندار [٤] وتنمز الزوكاش ، [٥] ويوسف الأشرفي الزوكاش الثاني ، وانسباي أمير آخور ... [٦] وقانصوه أحد الأمراء المقدمين... [٧] .

---

(١) دفتر المهمة رقم (٩) وثيقة رقم (٦٦٢) وتاريخ ٢٥ صفر سنة ٩٢٣ هـ من السلطان "سليم " (القاهرة) إلي إبنه " سليمان " (إستانبول) .

(٢) أعلي مراتب الأمراء في عصر المماليك ، وهذه المرتبة خاصة بأرباب السيوف ويكون في خدمة صاحبها مائة مملوك ، وهو في نفس الوقت مقدم علي ألف جندي في وقت الحرب . (سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ص ٤١٥) .

(٣) تسمي وظيفته " الحجوبية الكبري " وهو يقوم بالنظر في مخاصمات الأجناد واختلافهم في أمور الإقطاعات ونحو ذلك .

(٤) المشرف علي خزائن السلطان من نقد وأمتعة .
(سعيد عاشور ، المرجع السابق ، ص ٤٣٢) .

(٥) العامل في صنع السلاح وإصلاحه وتجديده .

(٦) وظيفة يقوم صاحبها بالإشراف علي إسطبل السلطان أو الأمير ورعاية ما فيها من خيل وحيوانات .

(٧) دفتر المهمة رقم (٩) وثيقة رقم (٦٦٣١) وتاريخ ٢٧ صفر سنة ٩٢٣ هـ من الصدر الأعظم " يونس باشا " إلي مقام الصنارة في (إستانبول) ووثيقة رقم (٦٦٣٩) وتاريخ ٢٧ صفر سنة ٩٢٣ هـ (لم يذكر إسم المرسل) إلي ولي العهد " سليمان " (إستانبول) ووثيقة رقم (٦٦٤٧) وتاريخ ٢٩ صفر سنة ٩٣٢ هـ من الصدر الأعظم " يونس باشا " إلي أمير دمشق وقاضي القضاة

معارك النيل

في يوم الأحد ١٩ صفر جمع السلطان سليم جيشه عند بركة الجبش استعداداً لعبور النيل الي بر الجيزة ، بعد استكمال استعداداته . وبدأت الدفعة الأولي في العبور ، وكان تعدادها نحو الفين أو أكثر . وكان السلطان طومان براقب الموقف عن كثب .

وما ان أتمت الدفعة الأولي عبورها ورست علي البر حتي هاجمها طومان باي بقواته ، واوقع بهم القتل . ولم ترسو الفرقة الثانية علي الشاطيء الغربي حتي تمكن طومان باي من افناء غالبية الدفعة الأولي .

اضطرب الجنود العثمانيون وتشتت امورهم فاستغل السلطان طومان باي الفرصة في الهجوم عليهم . وقتل بعضهم وفر الباقون في المراكب .

لما رأي السلطان سليم ما حصل لجنوده اغتم لذلك ، وندم علي اقدامه علي ذلك العمل ، حتي انه قال : (... لو اشار عليّ أحد بذلك ، يعني العبور ، لقتلته اشد قتله ، ولكن يهون الله تعالي علينا ...) [١] ولذلك أوقف السلطان سليم عملية العبور إلي حين تسمح الفرصة بذلك وأمر باطلاق نيران المدافع علي المماليك في البر الغربي .

نشبت معركة بين الطرفين علي ضفتي النيل ، واخذ كل فريق يقذف الآخر بالسهام والرصاص . وأثناء المعركة تمكن بعض الجراكسه من الهروب من المعسكر المملوكي ، والتجأوا إلي معسكر العثمانيين ، وكان من بين الفارين خادم الأمير علان ، فقام العثمانيون باستجوابه ، للوقوف علي آخر تطورات الموقف عند المماليك الجراكسه ، لأخذ الحيطة والحذر منهم .

---

(١) دفتر المهمة رقم (١٠) وثيقة رقم (٦٧٢) وتاريخ ٢٥ صفر سنة ٩٢٣ هـ من السلطان سليم إلي إبنه سليمان .

وقد أدلي هذا الخادم بمعلومات هامة .. حيث شرح وضع طومان باي واعوانه، وذكر هدف طومان باي من جمع العرب ، وهو عدم السماح للمراكب العثمانية بالمرور في النيل ، وصنع أي عبور لهم الي الضفة الأخري . وذكر لهم ان عدد العرب المتعاونين مع المماليك نحو الألفين رجل [1] .

راودت السلطان سليم فكرة اغلاق الطرق في وجه المماليك حتي لا يتمكنوا من الهروب خارج حدود مصر . ولهذا أمر بكتابة الرسائل الي امرائه في الأطراف يأمرهم فيها باغلاق الطرق امام الجنود المماليك الفارين ، ومحاولة القبض عليهم [2] .

بينما هم علي تلك الحالة اذ لاح للمماليك من الخلف من بعيد جيش قادم نحوهم ، وكان هذا الجيش هم عرب غزاله يتقدمهم حماد بن خير واخوه سلام . وما ان اقتربوا من المعسكر المملوكي حتي بادروا طومان باي الشتم وهددوه بمحاربته اذا لم يكف عن قتال العثمانيين . وذكّروه بما قام به سلاطين المماليك السابقين له من ظلم واستبداد وقتل ذريع للرعية ، وقد الجاهم الله بزحف السلطان سليم علي دولتهم حتي افني غالبية امرائهم [3] . اضطر طومان باي واتباعه الي التقهقر حزينا باتجاه الي اهرامات الجيزة ، خشية الوقوع في كمين يطبق عليهم من الجانبين . وأثناء تقهقر المماليك الي الخلف عبرت القوات العثمانية في أمان في اليوم الأول من ربيع الأول .

---

(١) دفتر المهمة رقم (١٠) وثيقة رقم (٦٧٣٧) وتاريخ ٢٧ صفر سنة ٩٢٣ هـ تقرير من الصدر الأعظم يونس باشا الي السلطان سليم ووثيقة رقم (٦٧٤٣) وتاريخ ٢٧ صفر سنة ٩٢٣ هـ الي السلطان سليم (لم يذكر اسم المرسل) .

(٢) دفتر المهمة رقم (١٠) وثيقة رقم (٦٧٥٩) وتاريخ ٢٨ صفر سنة ٩٢٣ هـ صور من هذه الرسائل مرفوعة الي أمير دمشق .

(٣) دفتر المهمة رقم (١٠) وثيقة رقم (٦٧٦٩) وتاريخ ٢٨ صفر سنة ٩٢٣ هـ تقرير مرفوع الي السلطان سليم (لم يذكر اسم المرسل) .

وبينما السلطان طومان باي واتباعه سائرون باتجاه اهرامات الجيزة ، اذا بفرقة قد اقبلت نحوهم وانضمت اليهم وكان علي رأسها الامير قيت رحبي الذي كان مسجونا في الأسكندرية ، وكان من أهل الرأي والدين ، سجنه السلطان قانصوه الغوري خوفا من ان يقوم بعمل ضده . وبعد ان تولي طومان باي السلطنة اطلق سراحه للاستعانة به في الحرب [1] .

أشار الأمير قيت رحبي علي السلطان طومان باي بتدوين جميع ما وقع له من أحداث وحروب علي هيئة شعر .

واستحسن السلطان طومان باي هذه المشورة ، فشرع طومان باي ينشد والأمير شاربك يكتب قصيدة طويلة بلغت ٩٤ بيتاً ، تضمنت الأحداث التي وقعت بين المماليك والعثمانيين ، ابتداءً من معركة مرج دابق وانتهاء بهروب طومان باي ولجوئه الي الأهرامات ، وتصور ما آل اليه حال طومان باي والجراكسه . ومطلع هذه القصيدة :

دموع العين فاضت من مآق ... وقلبي ذاب من كثر احتراقي

فلا ناري طفاها دمع عيني ... ولا دمعي يغيض من اختناق

علي زمن تقضي في نعيم ... بمصر والعلي والعزراق [2]

ثم بعد ذلك لجأ طومان باي وأتباعه من المماليك والأعراب المرافقين له الي دهشور بعد ان أحسوا بتعقب الجنود العثمانين لهم . وأمر اتباعه بالمناداة في المناطق المجاورة ان الخراج مرفوع عن مصر لمدة ثلاث سنوات ، ومنّاهم ووعدهم بالكثير اذا هم انضموا اليه .

---

(١) دفتر المهمة رقم (١) وثيقة رقم (٦٧٧٧) وتاريخ ٢٩ صفر سنة ٩٢٣ هـ تقرير مرفوع الي الصدر الأعظم يونس باشا (لم يذكر اسم المرسل) .

(٢) أحمد فؤاد متولي : المرجع السابق ، ص ٨ . ٢ . ٢١٢

انضم اليه بعض العربان والفلاحين فتشاور الجميع فيما بينهم ، واتفقوا علي ان يتزعم الأمير شاربك فرقة مكونة من عشرة الاف فارس ، ويتجه الي معسكر العثمانيين لقتالهم ، بينما يبقي السلطان طومان باي في دمشق حتي تأتيه الأخبار من شاربك .

وتحرك طومان باي الي الاصفحية [1] فانضم اليه الكثير من العربان ، وتمكن في مناوشاته مع العثمانيين ، ان ينزل بهم بعض الخسائر .

ولما بلغ الخبر السلطان سليم استشاط غضبه ، وندم علي دخوله مصر . وخشي ان يطول به المقام في مصر ويدركه فصل الشتاء ، فتنقطع عنه اخبار عاصمته ، وداخلته الوساوس والشكوك من الدول الأوربية النصرانية المجاورة لبلاده ، ان يغيروا علي الدولة العثمانية وينتزعوا منها بعض املاكها .

وبينما هو علي هذه الحال بلغه خبر خروج بلاد الاصفحية عن طاعته ، وثورتها عليه ، وانضمامها الي طومان باي ، فأمر بتشكيل فرقة من عدة آلاف فارس ، ومن بينهم خمسمائة من الرماة لمطاردة طومان باي ، واسند قيادتها لجان بردي الغزالي ، وارسل معهم زيادة علي ذلك خمسمائة من الامراء الجراكسة الذين انضموا اليه [2] .

استعد الغزالي للسير الي الاصفحية وارسل رسالة الي طومان باي ينصحه فيها بالتسليم ، الا أن الأخير رفض ذلك رفضا قاطعا . عند ذلك ارسل الغزالي وفودا من قبلة محملين بالرسائل الي مشايخ القبائل العربية المساندين لطومان باي ، يحثهم علي الانضمام للعثمانيين ويعدهم بتأمين حياتهم وحياة ابنائهم وأسرهم ، فرفضوا فسار اليهم فوجدهم علي اهبة الاستعداد لملاقاته . فدارت بينهم وبينه

---

(١) من قري مركز الصف بمحافظة الجيزة .

(٢) أحمد متولي ، المرجع السابق ، ص ٢١٤ و ٢١٥

معارك قوية كان النصر فيها حليف العثمانيين ، وولي الاعراب مدبرين ، ودخل الجيش العثماني بقيادة الغزالي بلادهم ، وسباياها ونهبها [1] ولما سمعت القبائل العربية ما حل بإخوانهم في الاصفهية اعلنوا العصيان ، وانتهز الامير يحي بن أزبك المملوكي الذي كان مقيما عند بني حزام تلك الفرصة ، وجمع أعداداً منهم ، وسار بهم حتي وصل باب النصر . وباب الشعرية ، وقتلوا كل من صادفوه في طريقهم من العثمانيين ، ثم اتجه بعد ذلك الامير يحي بن أزبك الي معسكر السلطان طومان باي وانضم اليه . فرحب به الأخير .

أصدر السلطان سليم أوامره بربط المراكب بعضها ببعض باحكام واتقان بين ضفتي النهر ، وأمر بعبور الجيش علي المراكب ، فعبروا جميعاً من خيالة ومشاة ، وكان معهم الامير محمد بن قانصوه الغوري ، ومستشار السلطان سليم خاير بك . وترك سليم خلفه الصدر الاعظم يونس باشا وفرقة من الجيش لحفظ الامن في المدينة. وأوصاه بارسال الغزالي اذا عاد إلي المعسكر فما كان منه الا ان كتب إلي الغزالي مرسوما يأمره بعبور النيل الي بر الجيزة لملاقاة السلطان ومساعدته علي قتال المماليك [2] .

ولما عبر السلطان سليم بمن معه الي بر الجيزة كان يسير بتأني وروية نظراً لما معه من المدافع والاحجار والاثقال .

وأثناء تحركات السلطان سليم ، كان الأمير شاربك قد وصل إلي بر الجيزة ، وعن يمينة الامير قانصوه العادلي ، ويحي بن أزبك ، والأمير دولتباي الكبير حاكم الصعيد ، والأمير قلج .

---

(١) دفتر المهمة رقم (١١) وثيقة رقم (٧٣٢) وتاريخ ٤ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ من جان بردي الغزالي الي السلطان سليم .

(٢) دفتر المهمة رقم (١٣) وثيقة رقم (٧٢٣٨) وتاريخ ٥ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ من الصدر الأعظم يونس باشا إلي جان بردي الغزالي

وأثناء سير الجيش العثماني ، لاح لهم جيش كبير مقبلا نحوهم . فلما اقتربوا منهم اذا هم عرب الغيوم ، واخبروا السلطان سليم بأن الامير شاربك الاعور قد سار لحربه ومعه قرابة ألفين من خيار الجراكسة ، فاستعد سليم لملاقاته .

وما ان تقابل الجيشان حتي شنّ الأمير شاربك عليهم حملة واحدة ، فأطلق العثمانيون عليهم المدافع والبنادق والمكفيات والمسبقيات [1] فوقع الكثير من المماليك في القتل ، وهرب الكثير منهم من ميدان المعركة ، ولم يثبت منهم إلا قلة. قاتلوا قتال الأبطال ومع ذلك استطاعوا إجبار الجيش العثماني علي التقهقر إلي الخلف .

عندئذ أمرهم سليم بالهجوم الجماعي علي الأمير شاربك ، واشتدت المعركة بين الجانبين . وكان السلطان سليم يحث جيشه علي الإستماتة في الحرب ويعدهم وعنيهم بالنصر . ومما قال : (أنظروا لهم ، فإنه ما بقي منهم إلاّ الخمسمائة فارس ، انزلوا عليهم بجمعكم وابطشوا عليهم بقوتكم ولا تبقوا منهم علي أحد ، واقطعوهم إلي أبد الأبدين . واسرعوا في الحركات) [2] كما كان الأمير شاربك يحث جنده ويشجعهم علي القتال إلاّ أنّ الجيوش العثمانية تكاثرت عليهم مما اضطر شاربك إلي التراجع إلي الخلف متظاهراً بالهزيمة واستمر الكر والفر حتي غروب الشمس حيث رجع كل فريق إلي معسكره .

جلس الأمير شاربك يتباحث الوضع مع قادته . وبينما هم علي ذلك إذ أقبل عليهم رسل من طومان باي يبلغونهم أنّ السلطان طومان باي مقيم عند دهشور ، وأنه يأمرهم بالسير إليه وملاقاته . فامتثل الأمير شاربك للأمر واتجه لملاقاة طومان باي ماراً بالمعسكر العثماني في منتصف الليل . ولكن السلطان سليم لم يتعرض لهم خوفاً من أن يكون ذلك كمين لهم .

---

(١) المكفيات والمسبقيات : آلتان من آلات الحرب ، استعملهما العثمانيون في حروبهم ضد المماليك الذين لم يكن لهم عهد بها من قبل .

(٢) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص ٩٧ .

التقي الأمير شاريك بطومان باي في الورّاق [1] ثم بعث الأخير برسالة إلي زعيم عرب غزالة حماد بن خبير يحضّه فيها علي الإنضمام إليه . ويمنيهم بالوعود إن هم انضموا إليه . وإن امتنعوا فعليهم إتخاذ موقف المحايدة وعدم التدخل في المعارك غير أنّ عرب غزالة رفضوا طلب طومان باي الإنضمام للمماليك .

أمر طومان باي جيشه بالرحيل ، فساروا حتي وصلوا أم دينار [2] واستقبلهم أهلها وباتوا بها تلك الليلة .

وفي صباح اليوم التالي هاجمهم جان بردي الغزالي ، علي حين غرة ، فتصدوا له ودارت بينهما معركة قوية ، تعرض فيها الغزالي لطعنة في خاصرته من الأمير شاريك . فحمله أتباعه إلي خيمته وعالجوه حتي شفي . وأثناء المعركة أقبلت جموع عرب غزالة الذين انضموا للعثمانيين . فأرسلهم سليم لمساندة جيش الغزالي . ودخلوا في صراع مع المماليك . وفي هذه المعركة تعرض المماليك لمواقف صعبة نتيجة لتدخل عرب غزالة في المعركة ، مما قوي الجبهة العثمانية .

كما أنّ عبور الصدر الأعظم يونس باشا إلي الضفة الغربية وإنضمامه إلي المعسكر العثماني قوي من مركز السلطان سليم .

---

(١) قرية من قري محافظة الجيزة ، قسم إمبابه .

(٢) قري تقية من قري مركز الجيزة .

معركة دهشـــور

أشار جان بردي الغزالي علي السلطان سليم بتقسم الجيش العثماني إلي ثلاثة أقسام ، قسم بقيادة إياس باشا ، وقسم بقيادته هو (الغزالي) والقسم الثالث بقيادة السلطان سليم ، ويسير كل جيش في جهة ثم تطبق الجيوش الثلاثة فجأة علي جيوش المماليك ويبيدونهم . فاستحسن السلطان سليم هذه المشورة وأمر بتنفيذها فوراً .

وأحاطت الجيوش العثمانية بالمماليك ، ثم قدمت جموع عرب غزالة من جهة رابعة ، وضيقوا الخناق علي المماليك الذين أصبحوا في موقف لا يحسدون عليه .

ولما رأي طومان باي تلك الجموع استعد للاقاتهم . وكان معه من الأمراء شاربك ، ويحيي بن أزبك ، وأبرك ، ودولتباي ، ورزمك الناشف .

وفي يوم الخميس ١٠ ربيع الأول تلاقي الجيشان عند دهشور . وجرت معركة حامية أشد من معركة الريدانية . انتصر فيها العثمانيون ، وقتلوا من المماليك أعداداً كبيرة حتي أنّ بعضهم من حراجة الموقف ألقي بنفسه في النهر ، وتفرق البقية . وسار السلطان سليم بعد هذا النصر إلي قرية وردان ومكث بها عدة أيام ، ثم أخذ يتجول علي الأهرامات وتعجب من بنائها . وفي يوم الأربعاء ١٦ ربيع الأول ، أمر السلطان سليم بالمناداة في القاهرة بإبطال العملة المتداولة ، وسك عملة جديدة كتب عليها إسمه وكانت خفيفة الوزن [١] .

---

(١) دفتر المهمة رقم (١٣) وثيقة رقم (٧٣٤٩) وتاريخ ١٦ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ من السلطان سليم إلي أمير دمشق وقاضي القضاة .
ابن زنبل ، المصدر السابق ، ص ١١٩ و ١٢٠ .
ابن اياس ، المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٢ و ١١٣ .

إلتجاء طومان باي إلي قبيلة محارب

بعد أن تعرض السلطان طومان باي للهزيمة القاسية في معركة دمشور ، حيث قتل فيها الكثير من أتباعه من أبرزهم الأمير قانصوه كرت . سار إلي قرية في جنوب وردان التي أقام بها السلطان سليم وعسكر بها . واجتمع بأصحابه ، وأخذوا يتشاورون فيما بينهم . فقال طومان باي لهم : " والله يا إخواني ما أظن إلاّ أنه دولتنا قد زالت ، فإنني أري أننا كلما فعلنا شيئاً نريد أن تكون فيه المصلحة، فما يكون أمرنا فيه إلا بضد ما نريد ، وأري أنّ أعدائنا أمرهم يزيد فكم قتلنا منهم من ألوف ومع ذلك أري كلما له يزيد ، وأنّ الغالب علي ظني زوال ملكنا ، وأنّ الظفر لعدونا . " [1] .

أمر أتباعه بالمسير إلي مدينة سخا [2] بالغربية حيث الشيخ حسن بن مرعي [3] وابن عمه شكر شيوخ عرب محارب ، الذين ولاّهم علي تلك المناطق وأخذ عليهم العهود والمواثيق والإيمان بأن يكونوا معه في السراء والضراء ، في وقت الرخاء والشدة وفي السلم والحرب .

---

(١) ابن زنبل ، المصدر السابق ، ص ١٢٠ و ١٢١ .

(٢) بلد من أعمال محافظة كفر الشيخ ، كانت كورة وقصبة الكورة الغربية في عهد الدولة الأيوبية ، وكان بها دار الوالي ، إليها ينسب الشيخ علي السخاوي المقري النحوي اللغوي . والحافظ الشهير محمد شمس الدين السخاوي صاحب كتاب الضوء اللامع في أهل القرن التاسع .

(٣) سجنه السلطان قانصوه الغوري وحكم عليه للأبد ، وما أن تولي طومان باي مقاليد الحكم في الدولة المملوكية حتي أطلق سجنه . وعينه حاكماً علي بعض المناطق في الغربية . ورئيساً هو وابن عمه علي شيوخ عرب المحارب .

وفي منتصف الليل رحلَ طومان باي وأتباعه من معسكرهم قاصدين أوطان عرب المحارب . ولما رآهم الأمير جان بردي الغزالي . خرج في أثرهم ومعه خمسة من أتباعه ، فلما رآهم اتجهوا نحو الغربية ، قفل راجعاً إلي معسكر السلطان سليم، فأخبره بسير السلطان طومان باي وأتباعه وتوجههم إلي ناحية الغربية ، فطلب سليم مشورته ، فأشار عليه بأن يرسله في أثرهم ويكون معه خاير بك وإياس أغا ومعهم أعداد من الجند .

فأمر السلطان سليم بتجهيز جيش تحت إمرة الوزير فرهاد باشا ، ومعه خاير بك والغزالي . ويكون تحت تصرفه .

اقترب طومان باي وأتباعه من مدينة سخا [1] التي كان مقيماً بها حسن بن مرعي وابن عمه شكر ولما رأي خيل المماليك مقبلين عليهم تبادروا ومعهم فرسان وسادات القبيلة إلي جيادهم لإستقبال السلطان طومان باي والترحيب به . وما أن اقتربوا من السلطان طومان باي وأتباعه حتي ترجلوا عن جيادهم وسلموا عليه وأتباعه . وعرضوا عليه واجب الضيافة فرد عليهم طومان باي : " ما نحن فاضون للضيافة ولا لغيرها ، والعدو في أثرنا ، وقامت علينا العربان من عرب غزالة ، وما جئت لك إلاّ لتنظر لنا محلاً نحتمي فيه ، ثم تدبر أمرنا فيما فيه الصلاح لنا". [2]

---

(١) يذكر ابن إياس أنّ حسن بن مرعي وابن عمه شكر التقيا بطومان باي عند مدينة تروجة، ثم نراه في نفس الرواية يناقض نفسه ، ويذكر أنهما التقيا به في ضيعة البرطة ، وهذا تناقض ظاهر في رواية واحدة . والذي أرجحه أنهما التقيا به في مدينة سخا مركز حكمهما. وهذا ماذكره ابن زنبل الذي هو خير من يؤرخ لهذه الحادثة لإتصاله المباشر بالمماليك الجراكسة وخروجه معهم أحياناً .

(٢) ابن زنبل ، المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

رحب آل مرعي بقدوم السلطان طومان باي فركن إلي ولائهم وأحضر لهم مصحفاً ، وحلفا عليه أن لايخوناه ولايغدرا به ، ولا يدلسان عليه بشئ من الأشياء ولا لسبب من أسباب الملك ، ولا يدلان عليه . فحلفا له علي المصحف سبع مرات فأطمئن قلبه إلي ذلك واستقر عندهما [1] .

عرض عليه الحسن بن مرعي مخبأ صعب اقتحامه ، وهو غابة في واد كبير واسع وافر المياه ، لا يستطيع الدخول منه سوي إثنين متساويين وذلك لشدة ضيقه، وأخبره بأنّ هذا المكان هو ملاذه ، إذا هاجمهم عدو لا طاقة لهم به .

طلب منه طومان باي المسير إليه ، فلما عاينه انقبض خاطره وأحس بقلبه أنه غير مأمون وأنه سيحدث له ما لا تحمد عقباه ، فأمسك بلجام فرسه ووقف في مكانه وتحيّر في أمره ، لكنّه سلّم لأمر الله عز وجل . وسار مع حسن بن مرعي حتي نزل هو ومن معه في صدر الوادي وعسكر هناك . وبعد أن أطمئن حسن بن مرعي علي إستقرار "طومان باي" ومن معه . خرج عنهم ليستطلع الأخبار .

---

(١) ابن إياس ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١١٤ .

إلقاء القبض على طومان باي وشنقه

بعد خروج الحسن بن مرعي من عند " طومان باي " حدثته نفسه بالخيانة. ودارت مجادلة بينه وبين أمه في أمر الخيانة وحذرته والدته من هذا العمل . وأخذت تذكره بما للسلطان " طومان باي " عليه من أياد بيضاء ، وبالإيمان والعهود التي قطعها على نفسه بعدم الخيانة . فلم ينتصح لكونه يطمع في المكافأة. وما أن انتهت المحادثة بينهما حتى أقبل فرسان القبيلة مسرعين وناديه بالخروج إليهم لملاقاة الجيش العثماني القادم نحوهم .

سأل القائد فرهاد باشا الأمير حسن بن مرعي إن كان عنده علم عن طومان باي ، وطمعه بالأموال والمناصب إن هو دله على مكانه .

فلما عرض عليه فرهاد باشا ذلك أخبره بأنه كفيل بإحضاره إليهم فخلع عليه الوزير فرهاد باشا خلعة سلطانية مذهبة ، وكذلك على ابن عمه شكر . ووعدهم خيراً.

ورجع حسن إلى والدته فاستنكرت عليه الخلعة ومصدرها ، فأخبرها الخبر . فحذرته من عاقبة الخيانة . فتحيّر في أمره ، والتقى بابن عمه شكر فشجعه قائلاً : "وهل عاقل يبيع عاجله بآجله ، لا تمل إلى الكفة الناقصة الخاسرة فيحصل لك الخسران" (١) .

اتفق الإثنان على السير للوزير فرهاد باشا العثماني . وأبلغاه بمخبأ "طومان باي " وأتباعه ، فأرسل معهما فرقة من جنده بقيادة أمير الرملي مصطفى باشا ومعه علي بك بن شهوار والغزالي .

---

(١) ابن زنبل ، المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

(٢) العبيدي ، المصدر السابق ، ص ١٠٤ - ١٠٦ .

وعندما اقتربت الفرقة من مخبأ طومان باي وأتباعه ، وشاهدهم "طومان باي" طلب من أمرائه أن يتفرقوا ويذهبوا إلي أي مكان أرادوا . فلما رآهم الغزالي فسح لهم المجال للخروج لما رأي السلطان طومان باي ليس معهم وبعد أن تفرق الأمراء عن سلطانهم . اقترب منه الجند العثماني ، وأرادوا القبض عليه حياً . فأغمدوا سيوفهم وأحاطوا بالسلطان طومان باي من جميع الجهات ، وأمسكوا به في يوم الأثنين ٧ ربيع الأول / ٧ أبريل ١٥١٧ م وأحضروه مقيداً إلي مكان يدعي أم الدينار ، ثم نقلوه إلي الجيزة . ومنها عبروا به إلي بولاق مقر السلطان سليم ، وأرسلوا البشائر إلي " سليم " بالقبض علي طومان باي . وما أن وصلوا إلي خيمة السلطان سليم حتي خرج لهم الوزير الأعظم يونس باشا ، وأمرهم بإنزاله في الخيمة [1].

---

(١) لا تقر بعض المصادر التركية ومنها (روز نامه جيمر جلبي ، في كتابه : سلطان سليمان إيران سفرينه دائر مخابرات ورقة ١٤٣ أ - ١٦٠ ب) .

أنّ القبض علي " طومان باي " بدلالة حسن بن مرعي ، ولكنها تذكر أن الجنود العثمانيين أدركوه في مسخور بالقرب من البحيرة ، فألقي بنفسه في النيل خوفاً من بطش الجنود ، فأنقذوه من الغرق وقبضوا عليه .

ويذكر جلال زاده قوجه نشانجي مصطفي في كتابه : مآثر سليم خاني طاب ثراه . في ورقة ١٤٢ أنّ مصطفي باشا وجنود الرومللي قبضوا علي " طومان باي " بعد هزيمته أمامهم في معركة لم يحدد مكانها .

(أحمد فؤاد متولي ، المرجع السابق ، ص ٢١٧) .

وهناك روايات أخري كثيرة مختلفة وردت في المصادر التركية لاداعي لذكرها . وكلها مع الإختلاف في الرواية تؤكد أن القبض علي " طومان باي " كان من طريق الجيش العثماني بعد هزيمته أمامهم . وتنفي هذه الروايات دلالة حسن بن مرعي ولم أعثر في الأرشيف العثماني علي وثائق تبين كيفية وطريقة القبض علي " طومان باي " مما يجعلني أعتمد علي ماورد في المصادر والمراجع العربية للسبب المذكور آنفاً ولإختلاف المصادر والمراجع التركية في الرواية .

وفي صباح اليوم التالي مثل " طومان باي " أمام " سليم " . قام له السلطان سليم ، وأخذ يتأمله معجباً بشجاعته وجسارته ، وأجلسه بجواره . وأخذ يتحدث معه بأسلوب رقيق ، راغباً في ضمه إلي جانبه . ودار بين آخر السلاطين المماليك ، وتاسع السلاطين العثمانيين حوار طويل ، أظهر فيه " طومان باي " رباطة جأش وشجاعه مدافعاً عن شرفه وشرف بلاده ، ومبدياً له أنّ ما حدثَ من هزيمة إنما هو بإرادة الله تعالي .

إهتم سليم بكلام " طومان باي " وأبدي إعجاباً بالغاً بحديثه . فأمر بعدم قتله حتي ينظر في أمره . وكان " سليم " يحسن إستقباله ، ويستفسر منه عن شئون مصر وإدارتها وجباية خراجها [1] .

وأجتمع السلطان سليم بأمراء دولته . وبينما هم يتحدثون في أمر طومان باي إذا بالبشارة تأتي من قبل الأمير أحمد بن بقر بالقبض علي الأمير شاربك الأعور . ففرح سليم وأمر بإحضاره . فلما مثل بين يديه . دارت بينهما محادثة قوية . دافع فيها الأمير شاربك عن نفسه ، فأمر السلطان سليم بإخراجه [2] .

شاع بين الأوساط الشعبية القبض علي طومان باي ، وأنّ السلطان سليم سيبقي عليه ، ويأخذه معه إلي إستانبول ، أو يرسله منفياً إلي مكة المكرمة مدة حياته ، غير أن خاير بك ، وجان بردي الغزالي لم يعجبهما إبقاء سليم علي حياة طومان باي ، فأخذا يدبران المكيدة . ويحرضان السلطان سليم علي قتله بحجة أنّ

---

(١) ابن زنبل ، المصدر السابق ، ص ١٣٢ - ١٣٦ .

أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية جـ ٥ ، ص ٢٥١ ، الطبعة الرابعة ١٩٧٩ م .

(٢) ابن زنبل ، المصدر السابق ، ص ١٣٦ - ١٣٩

وابن إياس ، المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٥

لا بقاء للملك مادام " طومان باي " علي قيد الحياة . وكتبا رسالتين [1] إلي السلطان سليم خفية دون علم وزرائه . لأن أغلبهم وعلي رأسهم الصدر الأعظم يونس باشا لايؤيدون مشورات خاير بك لسليم [2] .

استطاع هذان الخائنان التأثير علي السلطان سليم خاصة بعد ما قام به الجراكسة والعربان وأهالي القاهرة من شغب عندما علموا بالقبض علي "طومان باي" فكان ذلك عاملاً مساعداً علي التعجيل بقتل طومان باي [3] .

قبل إعدام طومان باي بيومين قرر السلطان سليم تولية يونس نائباً عنه في مصر . وفي نفس اليوم كتب رسائل التبشير بالفتح بالفارسية وأرسلت إلي الدول الصديقة تبشيراً بالنصر [4] .

---

(١) دفتر المهمة رقم (١٣) وثيقة رقم (٧٣٥١) وتاريخ ١٨ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ .

صورة رسالة من خاير بك إلي السلطان سليم .

ووثيقة رقم (٧٣٥٨) وتاريخ ١٨ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ .

صورة رسالة من جانب بردي الغزالي إلي السلطان سليم .

(٢) ابراهيم طرخان ، المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

(٣) دفتر المهمة رقم (١٣) وثيقة رقم (٧٣٧١) وتاريخ ١٩ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ من الصدر الأعظم يونس باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول .

(٤) عن محتويات هذه الرسائل أنظر :

دفتر المهمة رقم (١٥) وثيقة رقم (٧٥٤١) وتاريخ ١٩ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ من السلطان سليم إلي إبنه وولي عهده سليمان .

ووثيقة رقم (٧٥٤٣) وتاريخ ١٩ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ من السلطان سليم إلي أمير دمشق وقاضي القضاة . ووثيقة رقم (٧٥٥٢) وتاريخ ٢٠ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ من الصدر الأعظم يونس باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول .

واقق السلطان سليم علي إعدام طومان باي بعد أربعة عشر يوماً من القبض عليه . وفي يوم الإثنين ٢٨ ربيع الأول ٩٢٣ هـ / ١٣ أبريل ١٥١٧ م أمر السلطان "سليم" بإخراج " طومان باي " آخر سلاطين المماليك من سجنه في إمبابة، فأخرج من سجنه وسار وسط . . ٤ جندي يحرسونه حتي وصل إلي بولاق . ثم أمرهم السلطان " سليم " بالسير إلي باب زويلة . وظل " طومان باي " سائراً معهم رافع الرأس وهو يسلم علي الناس طوال الطريق . فلما رآه المصريون جهشوا بالبكاء والصياح . وكان هذا اليوم عليهم من أشأم الأيام [1] .

وما أن وصل طومان باي إلي باب زويلة ، حتي أنزله الحرس عن فرسه ، وأرخي له المشاعلي حبل المشنقة ، وتم إعدامه . وحزن عليه الناس حزناً كبيراً ، نظراً لشجاعته وبطولته في التصدي للعثمانيين ، ولثباته في الحرب وإستمراره في المقاومة حتي آخر لحظة ، هذا علاوة علي حسن سمعته وحسن أخلاقه ، وحسن سياسته للناس .

بسبب شنق السلطان طومان باي علي باب زويلة ، عرف هذا الباب فيما بعد بباب المتولي - بوابة المتولي - ولعلّ إختيار هذا الإسم لكونه لقب السلطان طومان باي قبل توليه السلطنة .

يذكر ابن زنبل أنّ السلطان " سليم " حضر الصلاة علي " طومان باي " ، وأرسل ثلاثة أكياس من الفضة للتصدق عليه ، وأنه في نفس الوقت الذي أمر فيه بشنق السلطان " طومان باي " ، أمر بإحضار الأمير شاربك الأعور وضرب عنقه .

---

(١) ابن زنبل ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

حسن عثمان ، تاريخ مصر في العهد العثماني (١٥١٧ - ١٧١٨) في كتاب المجمل في التاريخ المصري ، القاهرة ١٩٤٢ م ، ص ٢٤٢ .

فأتي أبناؤه وغلامه الحاج فارس ، وأستأذنوا في أخذه . فأذن لهم ، فأتوا به إلي المدرسة البيبرسية [1] وغسلوه وصلوا عليه ، ودفنوه في فنائها [2] .

ورداً علي شنق " طومان باي " حاول بعض المماليك الإنتقام لقتله ، حيث أنّ أحد أمرائهم ويدعي قانصوه العادلي ، لما بلغه خبر شنق " طومان باي " ، قرر الثأر له بقتل السلطان " سليم الأول " ، ودبر حيلة حيث لبس زي العرب . وأخذ معه جماعة من أهل القوة ، وركب مركباً ليلاً قاصداً المكان الذي يجلس فيه السلطان . وكاد قانصوه أن يصل إلي مكان " سليم " ، لولا تيقظ حراسه المتاريس ، وماكان من قانصوه العادلي إلاّ أن ألقي بنفسه في النيل ، فأرسل سليم في أثره وأمسكوه به ، وأتوا به إلي السلطان " سليم " فأعجب بجراءته ووفائه لسلطانه " طومان باي". وعفا عنه وأبقاه معه [3] .

في يوم الجمعة ٢٥ ربيع الأول ٩٢٣ هـ خرج السلطان سليم من معسكره في إمبابة قاصداً القاهرة ، ودخلها من باب زويلة ، وتوجه من هناك إلي الجامع الأزهر، وزينت له القاهرة ، وصلي في الأزهر صلاة الجمعة ، ومكث بالقاهرة عدة أيام [4] .

أرسل السلطان سليم جماعة من أمرائه ووزرائه وأهل مشورته إلي المدرسة الغورية ، وأرسلوا في استدعاء جماعة من القضاة ، وأعيان التجار ، بمختلف أنواع

---

(١) كانت ملحقة بجامع بيبرس الموجود بحي الجودريه شارع المؤيد .

(٢) ابن زنبل ، المصدر السابق ، ص ١٤٢ .

(٣) دفتر المهمة رقم (١٥) وثيقة رقم (٧٥٦٣) وتاريخ ٢١ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ من السلطان سليم (القاهرة) إلي إبنه وولي عهده سليمان .

(٤) دفتر المهمة رقم (١٥) وثيقة رقم (٧٥٧١) وتاريخ ٢٥ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ من الصدر الأعظم يونس باشا إلي أحمد باشا (إستانبول)

لحجارتهم ، وطائفة من البنائين والنجارين والمرخمين والمبلطين . وغير ذلك من أرباب الحرف . واختاروا أعداداً منهم للسفر إلي استانبول عاصمة الدولة العثمانية [١] .

وقد ضم الوفد المرسل إلي الآستانة بعض الذين تمردوا علي الحكم العثماني من بين الأمراء والعلماء وعائلاتهم ، بلغ عددهم ٢١٠٠ شخص أو ٧٠٠ عائلة [٢] ويبدو أن هذا الإجراء يتفق مع عادة مألوفة في الدولة العثمانية بإجراء تنقلات بين السكان ، أثر الفتح ، لنقل الخبرات ، أو لترسيخ الصيغة العثمانية في البلد المفتتح.

ويذكر بعض المؤرخين أن السلطان سليم أخذ معه عند خروجه من مصر ألف جمل محملة بالذهب والفضة [٣] . وهذا الرأي غير صحيح ومنافي للحقيقة والواقع فالإقتصاد المملوكي كان متدهوراً بعد تحول طرق التجارة العالمية عن مصر . وهذا ما جعل المماليك يلجأون إلي فرض الضرائب الفادحة علي الناس لسد العجز في مالية الدولة المملوكية .

---

(١) دفتر المهمة رقم (١٥) وثيقة رقم (٧٥٨٩) وتاريخ ٢٦ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ من السلطان سليم إلي الوزير محمد باشا .

(٢) لمعرفة تفاصيل أسماء هؤلاء الأشخاص ووظائفهم وأعمالهم أنظر :

دفتر المهمة رقم (١٦) وثيقة رقم (٨١٠٠) وتاريخ ٢٥ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ من السلطان سليم إلي إبنه ولي عهده سليمان .

ووثيقة رقم (٨١٢٢) وتاريخ ٢٧ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ من السلطان سليم إلي إبنه ولي عهده سليمان .

(٣) محمد بن أبي السرور البكري الصديقي ، الكواكب السائرة في أخبار مصر والقاهرة . مخطوطة بالمتحف البريطاني بلندن تحت رقم Additional MS. 9973 ص ١٥.

ومما يؤكد عدم صحة الرأي المذكور آنفاً الرسالتين اللتين بعث بهما السلطان سليم وهو في الشام إلي إبنه وولي عهده سليمان (القانوني) يذكر له فيهما أنه لم يكسب من بلاد مصر شيئاً يذكر ، بل أنه أنفق علي إصلاح شئونها كل ماحمله معه من ذهب وفضة من إستانبول [1] .

وفي يوم الأحد ٢٧ ربيع الأول أتي للسلطان سليم بشخص من العثمانيين إمرأة من السوق وزني بها . وبعد ثبوت الزني وإنتفاء موانع الرجم ، أمر السلطان سليم به فرجم [2] .

---

(١) دفتر المهمة رقم (١٦) وثيقة رقم (٨١٢٧) وتاريخ ١٠ شوال سنة ٩٢٣ هـ من السلطان سليم (دمشق) إلي إبنه وولي عهده سليمان (إستانبول) .

ووثيقة رقم (٨١٤١) وتاريخ ١٢ شوال سنة ٩٢٣ هـ من السلطان سليم (دمشق) إلي إبنه وولي عهده سليمان (إستانبول) .

(٢) إبن إياس ، المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ١١٦ و ١١٧ .

وصول الأسطول العثماني إلي الأسكندرية

وبعد ستة وثلاثين يوماً من إعدام السلطان المملوكي طومان باي . وصل الأسطول العثماني ، الذي كان مقرراً أن يشترك في ضم مصر لأملاك الدولة العثمانية، إلي شواطئ الأسكندرية في يوم الثلاثاء ٢٨ ربيع الثاني / ١٩ مايو ، وكان يتكون من ٣٠١ قطعة بحرية .

وما أن بلغت الأخبار للسلطان سليم بوصول الأسطول العثماني حتي أصدر أوامره للجيش العثماني بالتوجه إلي الأسكندرية . وفي يوم الخميس ٧ جمادي الأولي / ٢٨ مايو توجه السلطان سليم إلي الأسكندرية للتفتيش علي الأسطول . وكان يرافقه الوزير محمد باشا ، وكاتب الديوان حليمي جلبي . كما توجه الصدر الأعظم يونس باشا إلي الأسكندرية عن طريق البر لملاقاة السلطان سليم الذي سلك طريق البحر [1] .

وصل السلطان " سليم " إلي الأسكندرية في ضحي يوم الثلاثاء ٨ جمادي الأولي وأمر نائبه في القاهرة بإرسال الخليفة العباسي المتوكل علي الله إليه في الأسكندرية . وقد خرج الخليفة العباسي في هذا اليوم وبصحبته أولاد عمه خليل وهما أبو بكر وأحمد ، وخرج بصحبته أيضاً الناصر محمد العلاتي صهر الخليفة ،

---

(١) دفتر المهمة رقم (١٦) وثيقة رقم (٨١٤٧) وتاريخ ٦ جمادي الأولي سنة ٩٢٣ هـ من السلطان سليم إلي الصدر الأعظم يونس باشا .

ويونس بن الأتابكي سودون العجمي ، وغيرهم من الأعيان ، متجهين صوب الأسكندرية [1] .

في يوم الجمعة ١٥ جمادي الأولي أدي السلطان سليم صلاة الجمعة بالمسجد الغربي ، ثم زار بعض الآثار هناك . ثم تحرك عائداً إلي القاهرة في اليوم الثاني وأستقر في حي الروضة ، وأمر ببناء قصر في أم القياس ، ليكون قصراً للحكم في مصر [2] .

---

(١) دفتر المهمة رقم (١٩) وثيقة رقم (٨١٥٣) وتاريخ ٩ جمادي الأولي سنة ٩٢٣ هـ من الصدر الأعظم يونس باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول .

عاش الخليفة العباسي المتوكل علي الله في إستانبول حياة مليئة الإسراف والبذخ ، وكان دائم الخلاف مع أولاد عمه ، مما أدي إلي غضب السلطان عليه ، فأمر بإبعاده خارج العاصمة - وتذكر بعض المصادر أن السلطان سليم أمر بسجنه - ولما تولي سليمان (القانوني) عرش العثمانيين أعاده إلي إستانبول . ثم أذن له فيما بعد بالعودة إلي القاهرة . وقد عاش المتوكل في القاهرة وهو يحمل لقب خليفة إلي أن مات سنة ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م .

وتسكت المصادر التركية والعربية التي عاصرت ضم الشام ومصر للعثمانيين عن ذكر شئ عن الخلافة . أما المؤرخون الذين لم يعاصروا ذلك فمنهم من يقول بتنازل الخليفة العباسي عنها إلي السلطان "سليم" العثماني . ومنهم من ينفي هذا التنازل ويؤكد علي عدم إنتقال الخلافة إلي العثمانيين .

ولايوجد لدينا دليل من وثيقة أو مصدر يؤكد إنتقال الخلافة إلي السلطان "سليم" كما أن "سليم" لم يتخذ هذا اللقب من ضمن ألقابه . وأكتفي بلقب خادم الحرمين الشريفين . ولم يتخذ سلاطين آل عثمان لقب خليفة إلا في القرن الثامن عشر الميلادي لأسباب سياسية وكيفما كان الأمر فإن الخلافة العباسية قد أنتهت مع وفاة المتوكل وأصبح سلطان الدولة العثمانية هو أعلي شخصية في العالم الإسلامي كله لا تعلوها شخصية أخري وأصبح خليفة بقوة السلاح والواقع .

(٢) ابن إياس ، المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٢١ .

أرسل شريف مكة زين العابدين بركات ابنه الأكبر محمد أبا نمي إلى السلطان سليم في القاهرة ليقدم الولاء والطاعة للسلطان "سليم".

وفي يوم الإثنين ١٦ جمادي الثانية دخل ابن الشريف بركات القاهرة، فاستقبله السلطان سليم إستقبالاً حافلاً. وبعد ستة أيام قدم محمد أبا نمي الطاعة والولاء وبعض الهدايا للسلطان سليم، ثم سلمه مفاتيح الأماكن المقدسة وبعض الآثار الموجودة في مكة والمدينة، فأقر السلطان الشريف زين الدين بركات على شرافة مكة، وبعث مع ابنه رسالة بالعربية إليه. تتضمن الموافقة على أن تكون شرافة مكة المكرمة له ولابنه الأكبر من بعده [١].

ونهج هذا النهج الأمراء المماليك الذين كانوا يحكمون بعض مناطق اليمن باسم الدولة المملوكية وقد قبل سليم ذلك. وأقرّهم في حكم اليمن باسم الدولة العثمانية [٢].

---

(١) السيد رجب حراز: الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب (١٤٨٠ - ١٩٠٩) القاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٠١.

فائق بكر الصراف، العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز في الفترة مابين ١٢٩٣ - ١٣٣٤ هـ / ١٨٧٦ - ١٩١٦ م. القاهرة، مطبعة سجل العرب، ١٩٧٨ م، ص ٤٨.

عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م. دار المتنبي، الدوحة، قطر، ص ٢١.

عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها.

جـ ١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠ م، ص ٢٠.

(٢) محمود صالح منسي، حركة اليقظة العربية في الشرق الأسيوي، دار الإتحاد العربي للطباعة، الناشر: دار الفكر العربي، ١٩٧٨ م، الطبعة الثانية، دراسات في تاريخ الشرق العربي (١)، ص ٣٠.

قواعد الحكم العثماني في مصر

شرع السلطان " سليم " في تنظيم أمور الحكم في مصر قبل مغادرتها إلي إستانبول فعين خاير بك والياً علي مصر في يوم الإثنين ١٣ شعبان / ٣١ أغسطس ١٥١٧ م ومنحه لقب الباشوية ، وأوكل إليه كافة أمور البلاد الإدارية والإقتصادية وغيرها من مهام الوالي [١] . كما أصدر قراراً بعزل يونس باشا من حكم مصر .

وترك له حامية عثمانية مقيمة في مصر ، مكونة من أربعة آلاف جندي وقسمها إلي أربع فرق . وأوكل إليها حفظ النظام في البلاد والذود عنها ، وجباية الخراج، وعين لكل فرقة قائداً مستقلاً عن الوالي تمام الإستقلال يرجع أمره إلي السلطان مباشرة .

وهذه الفرق : فرقة الإنكشارية ، وتعتبر أقوي الفرق العثمانية ، وعين خير الدين باشا قائداً لها ، كما عينه نائباً علي القلعة ، وفرقة الروملي ، وأسند قيادتها إلي سنان بك ، وفرقة الأناضول ، وأسند قيادتها إلي قايتباي بك [٢] . وفرقة قبرخلقي وأسند قيادتها إلي مصطفي بك .

---

(١) أحمد فؤاد متولي ، المرجع السابق ، ص ٢٢٧ و ٢٢٨ .

(٢) أحمد حسين ، موسوعة تاريخ مصر ، الجزء الثالث ، دار الشعب ، ص ٨١٥ و ٨١٦ .
أحمد متولي ، المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .
حنا اسكندر ، تاريخ مصر ، دار المعارف بمصر ، ص ٢٤٤ و ٢٤٥ .
عبد المنعم ماجد ، المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .
محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية .
دار الجيل ، بيروت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ص ٧٦ و ٧٧ .

وقسّم البلاد من الناحية الإدارية إلي مديريات ، بلغت ٢٤ مديرية ، وعلي رأس كل منها أمير مملوكي ، وبذلك لم يغير الوضع الإداري الذي كان سائداً من قبل، وفي الوقت نفسه قسم مصر من الناحية السياسية إلي ثلاثة أقسام كبيرة جعل علي كل قسم رتبساً من المماليك لمعاونة خاير بك في حكم البلاد . ويكون هؤلاء الثلاثة تابعين للديوان في استانبول [١] .

وفي يوم السبت ١٨ شعبان عيّن السلطان سليم الأمراء المماليك علي المديريات المصرية ، حيث ولي الأمير غانم السيفي علي البهنسا والفيوم ، وحماد بن خبير شيخ عرب غزالة علي إقليم الجيزة ، والأمير علي بن عمر شيخ الهوارة علي إمارة الصعيد ومركزه في مدينة جرجا ، والشيخ علم الدين علي أراضي بن عدي [٢] .

وبعد أن ولّي هؤلاء الأمراء علي مناصبهم ، أمر أن يكتب في الدواوين ولجميع الحكام بعدم التعرض لجميع أصحاب الإقطاعات والأرزاق والأوقاف والجوامع، وأولاد الأمراء . وبالذات أمراء الجراكسة [٣] . وجعل لعنة الله ثلاث

---

(١) دفتر المهمة رقم (١٦) وثيقة رقم (٨١٤٧) وتاريخ ١٥ شعبان سنة ٩٢٣ هـ من السلطان سليم إلي إبنه وولي عهده سليمان في إستانبول ، ووثيقة رقم (٨١٥٣) وتاريخ ١٧ شعبان سنة ٩٢٣ هـ إلي مقام الصدارة العظمي في إستانبول (لم يذكر إسم المرسل) .

(٢) ابن زنبل ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ و ١٤٧ .
عبد الكريم رافق ، العرب والعثمانيون ١٥١٦ - ١٩١٦ ، الطبعة الأولي ، دمشق ١٩٧٤ ، ص ٦٤ و ٦٥ .

(٣) إحتمام السلطان " سليم " بالأمراء المماليك الجراكسة يدل علي مدي موقفه بوجه عام من المماليك ، وهذا ماتوضحه وصيته بهم بألاّ ينالهم أذي ، ويوضحه تركه السلطة في أيديهم ، وعدم المساس بإقطاعاتهم وتقاليدهم بعد أن أطمأن إليهم . ونتيجة لذلك فقد كان تواجدهم في العهد العثماني يفوق تواجدهم قبل ذلك .
(أحمد شلبي، المرجع السابق ، جـ ٥ ، ص ٢٥٣) .
(هنا اسكندر ، المرجع السابق ، ص ٢٣٤٥)

مرات علي من غير أو بدل شيئاً من ذلك [1].

كما تشكل ديوان الوالي العثماني في مصر وكان يتكون من القادة العسكريين الستة ، ومن ٢٤ والياً ، ويجتمع هذا الديوان أربع مرات في الأسبوع، ومهمته النظر في الشئون الإدارية والإقتصادية ... وبدون هذا الديوان لايستطيع الوالي تقرير أي عمل أو تنفيذه . وإذا تجاوز الوالي حدود سلطته فيرفع أعضاء الديوان الأمر إلي السلطان في إستانبول [2] .

وما قيام السلطان سليم بتلك الإجراءات والترتيبات التي أتخذها قبل مغادرته مصر ، إلاّ لكي يضمن مصير الحكم العثماني في البلاد ، ويضمن سلامة مصالح الناس ، وأيضاً ليحد من سلطة الوالي فيها علي الرغم من ثقته بخاير بك لدرجة أنه عزل وزيره الأول يونس باشا ونصّبه مكانه في الولاية .

أما من ناحية التنظيم الإقتصادي في مصر ، فقد ألغي السلطان " سليم " النظام الإقطاعي الذي كان سائداً في عهد المماليك ، وأحل محله نظام الإلتزام، والذي يعني أنّ الحكومة تمتلك جميع الأراضي المصرية ، وتعطي بعضها للوالي ، والبعض الآخر لنفقات الجند وحكّام الأقاليم ، وتطرح الباقي للمزايدة مقسمة إلي

---

(١) دفتر المهمة رقم (١٦) وثيقة رقم (٨١٦١) وتاريخ ٢ شعبان سنة ٩٢٣ هـ من السلطان سليم (القاهرة) إلي أمير دمشق وقاضي القضاة .

ووثيقة رقم (٨٢١) وتاريخ ٢ شعبان سنة ٩٢٣ هـ . من الصدر الأعظم محمد باشا (القاهرة) إلي إستانبول .

(٢) دفتر المهمة رقم (١٦) وثيقة رقم (٨٢٢٣) وتاريخ ٢٢ شعبان سنة ٩٢٣ هـ من السلطان "سليم" إلي والي مصر الجديد خاير بك

أجزاء بين الراغبين في الإلتزام [1] .

يقول الشيخ عبد الرحمن الجبرتي عن دخول السلطان " سليم " إلي مصر : "ولما خلص له أمر مصر عفا عمن بقي من الجراكسة وأبنائهم ، ولم يتعرض لأوقاف السلاطين المصرية ، بل قرر مرتبات الأوقاف والخيرات والعلوفات وغلال الحرمين والأنبار ورتب للأيتام والمشايخ المتقاعدين ومصارف القلاع والمرابطين ، وأبطل المظالم والمكوس والمغارم . ثم رجع إلي بلاده وأخذ معه الخليفة العباسي [2] .

---

(١) دفتر المهمة رقم (١٦) وثيقة رقم (٨٢٣٧) وتاريخ ٢٥ شعبان سنة ٩٢٣ هـ من السلطان سليم (القاهرة) إلي أمير دمشق وقاضي القضاة ، ووثيقة رقم (٨٢٤) وتاريخ ٢٧ شعبان سنة ٩٢٣ هـ من والي مصر الجديد خاير بك إلي أمير دمشق .

(٢) عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار .

دار الجيل ، بيروت ، جـ ١ ، ص ٣٧ .

عودة السلطان سليم إلي إستانبول

بعد أن أتم السلطان " سليم " ترتيب وتنظيم شئون مصر شرع في الإستعداد للرحيل إلي عاصمة دولته استانبول بعد أن مكث في مصر سبعة أشهر وثلاثة عشرة يوماً .

وفي يوم الخميس ٢٣ شعبان ٩٢٣ هـ / ١٠ سبتمبر ١٥١٧ م خرج السلطان سليم من بيت السلطان قايتباي ، وتوجه إلي الصليبية ، ومن ثم إلي الرميلة، ومن هناك خرج في موكب حافل ومعه الصدر الأعظم يونس باشا ، والدفتردار ، وبقية الوزراء والأمراء ، والعدد الكثير من جيشه مابين مشاة وخيالة، وكان علي رأس مودعيه واليه علي مصر الأمير خاير بك [1] .

واصل السلطان سليم رحلته قاصداً بلاد الشام ، حتي وصل إلي بلبيس في يوم السبت ٢٥ شعبان ، وهناك أصابته وعكة ، فبقي بها أياماً ، ثم أكمل مسيرته. وفي يوم الثلاثاء ٢٨ شعبان ، وبينما كان السلطان "سليم" متوجهاً إلي غزة ، جرت مناقشات حادة بينه وبين وزيره يونس باشا ، أغلظ فيها الأخير الكلام علي " سليم " منها قوله مخاطباً " سليم " : " ما الذي فعلته ؟ أخذت البلاد من الجراكسة ، ثم أعطيتها لهم ثانية وعاديتهم وقاتلتم ثم صافيتهم ، فما هذا الرأي ؟ فلو عرفنا ذلك ما جئنا معك ولا أطعناك في شئ من ذلك " . فغضب السلطان "سليم" وأمر بضرب عنقه وقتل في الحال [2] .

وصل السلطان سليم إلي غزة في يوم الجمعة ٩ رمضان ، فمنح جان بردي الغزالي حكم ولاية كل من صفد والقدس والكرك ونابلس ، ودخل السلطان سليم

---

(١) ابن إياس ، المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٣٢ و ١٣٣ .

(٢) إبن زنبل ، المصدر السابق ، ص ١٥٣ .

دمشق في يوم الخميس ٦ شوال ، وبدأ يفكر في القضاء علي المناوئين للحكم العثماني في الشام ، وأثناء إقامته في دمشق وصلته رسالة من الشاه إسماعيل الصفوي مع بعض الهدايا ، ومؤداها : " ملكت كثيراً من البلاد والتبعة . استوليت علي مصر خاصة ، وأصبحت "خادم الحرمين الشريفين " والآن أرضك أرض الاسكندر . لقد زال ما كان بيننا ، ولن يعود مرة أخري . عد إلي مملكتك ، وأعود أنا إلي مملكتي . فلنصن دماء المسلمين سوياً . إنني سأحقق رغبتك وأمنيتك أياً كانت " [١] .

اطلع "سليم " علي هذه الرسالة لكنه لم يطمئن إليها ، فأرسل الصدر الأعظم محمد باشا علي رأس فرقة قوامها ألفا جندي ووجهه إلي ديار بكر لمراقبة تحركات الشاه الصفوي عن قرب .

في يوم الإثنين ٢٧ محرم ٩٢٤ هـ / ٨ فبراير ١٥١٨ م ترك السلطان "سليم" دمشق بعد أن مكث بها ثلاثة أشهر وعشرين يوماً . وعيّن جان بردي الغزالي والياً علي الشام .

ووصل السلطان " سليم الأول " إلي حلب في يوم الجمعة ٢٢ صفر ، وفي يوم الخميس ٢٥ ربيع الثاني خرج منها قاصداً عاصمة بلاده أستانبول فوصلها يوم الأحد ١٧ رجب ٩٢٤ هـ / ٢٥ يوليو ١٥١٨ م [٢] .

---

(١) دفتر المهمة رقم (١٦) وثيقة رقم (٨٢٣٧) وتاريخ ١٥ شوال سنة ٩٢٣ هـ من الشاه إسماعيل الصفوي إلي السلطان " سليم " .

(٢) ابن الغزي ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢١٠ .

أسباب سقوط المماليك وإنتصار العثمانيين

مما تقدم يتضح لنا بأن أسباب سقوط المماليك وإنتصار العثمانيين يمكن إجماله في الأسباب الآتية :

أولاً : الخيانة المملوكية ، وهي من أقوي أسباب سقوط المماليك . لاسيما وأنّ تلك الخيانة قد صدرت من أصحاب مراكز مرموقة في الدولة المملوكية ، كبعض القادة العسكريين ، وحكام بعض المناطق الهامة علي الحدود العثمانية المملوكية، وقد بدأت الخيانة المملوكية في معركة مرج دابق وظلت تؤدي دورها إلي أن شنق السلطان المملوكي طومان باي ، وتمثلت الخيانة التي نشأت في صفوف المماليك في خاير بك أولاً ، وجان بردي الغزالي من بعد ثانياً ... وقد ساهمت خيانتهما في ضعف المماليك وهزيمتهم في النهاية . وقد ذكر طومان باي أنّ أكبر عوامل هزيمته خيانة بعض قادته ورجاله .

ثانياً : ضعف الإقتصاد المملوكي وتدهوره بعد تحول طرق التجارة مما أدي إلي عجز طومان باي إقتصادياً عن تمويل معاركه مع العثمانيين ، وعجزه عن إستمالة القادة والقبائل في مصر .

ثالثاً : سوء إدارة سلاطين المماليك - في الفترة الأخيرة - للمجتمعات التي يحكمونها في مصر والشام ... وذلك بعدم الإهتمام بصالح الناس ، وفرض الضرائب الفادحة عليهم مما جعل القبائل تنفضه عنهم وتنضم إلي صفوف العثمانيين علّها تجد فيهم التخفيف مما حلّ بهم من ضنك المعيشة . وقد عرضت نماذج من ذلك خلال صفحات البحث .

رابعاً : تفكك الجيش المملوكي في أواخر أيامه ، وإنشغاله بالمنازعات الداخلية وقيامه علي نظام الجلبان والقرانص الذي أدي إلي تفكك صفوف المماليك وضعفها . وقد عرضت نماذج من ذلك إبتداءً بمعركة الريدانية .

خامساً : تقدم المدافع العثمانية وتطورها أمام أسلحة المماليك . مما أدي إلي هزيمتهم في معظم المعارك التي التقوا فيها بالجيش العثماني .

سادساً : حسن الإدارة والتخطيط والقيادة في الجيش العثماني ، والذي كانت تفتقره القيادة المملوكية ، ومن ثم أنعدم الولاء والتضحية بين الجيش وقادته في صفوف المماليك .

سابعاً : سمعة الجيش العثماني وكفاءته في ميدان القتال في معاركه مع النصاري في شرق أوربا ، ومع الشيعة في فارس . وقد وصلت أنباء تلك الإنتصارات والبطولات إلي أسماع الجيش المملوكي . وإلي عامة الناس في الشام ومصر ... مما أرخي عزائمهم ، وأضعف قدراتهم ومعنوياتهم لتصورهم أنهم أمام جيش لايقهر .

نتائج دخول الأقطار العربية
في حوزة العثمانيين

أولاً : إبعاد الخطر البرتغالي الذي كان يهدد البلاد العربية ، والأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف . وتدعم الطابع العثماني الإسلامي في البحر الأحمر حينما ضم السلطان سليمان القانوني كلاً من مصوع وسواكن إلي الدولة العثمانية سنة ٩٦٥ هـ / ١٥٥٧ م منتهزاً إندلاع حرب أهلية في الحبشة . ونجحت الدولة العثمانية في تخفيف الضغط البرتغالي علي التجار العرب والإمارات العربية الساحلية ، وعجز البرتغاليون في مد نفوذهم إلي البحر الأحمر وإلي الولايات العربية الداخلية . كما استطاعت الدولة العثمانية تحطيم المحاولات التي بذلها البرتغاليون لتكوين جبهة نصرانية منهم ومن الأحباش ضد القوي العربية والإسلامية في البحر الأحمر وشرقي إفريقية .

ثانياً : أضفت الدولة العثمانية علي البلاد العربية الوحدة الكاملة والإستقرار والأمن . وربطت بين أجزائها المتناثرة وخاصة بعد أن ضمت الجزائر سنة ٩٢٦ هـ / ١٥١٩ م بناءً علي رغبة أهلها . وطرابلس سنة ٩٥٩ هـ / ١٥٥١ م ، وتونس سنة ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤ م . فأصبحت البلاد العربية من الجزائر غرباً إلي العراق شرقاً ومن اليمن جنوباً إلي بلاد الشام شمالاً وحدة واحدة مترابطة تحت ظل الدولة العثمانية المسلمة التي أوصلت الفتوحات الإسلامية إلي أواسط أوروبا تقريباً . وأصبحت رابطة العقيدة من أقوي الروابط التي تربط العربي بأخيه التركي لا فضل لعربي علي أعجمي ولا لأبيض علي أسود إلاّ بالتقوي .

ثالثاً : إبعاد خطر زحف المذهب الشيعي على البلاد العربية . وكان الشاه إسماعيل الصفوي الشيعي ينوي نشر هذا المذهب في كافة أرجاء المشرق العربي والقضاء على المذهب السني ، لا سيما وأنه قد نشر هذا المذهب في أواسط الأناضول قلب الدولة العثمانية . وكان ينوي التفرغ للبلاد العربية منتهزاً ضعف الدولة المملوكية وبدأ بإحتلال العراق سنة ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م . ولكن السلطان سليم إستطاع في حربه مع الدولة الصفوية في فارس أن يحصر المذهب الشيعي في فارس وأن يقلل من أخطاره . وضم شمال العراق إلى الدولة العثمانية ثم أكمل إبنه سليمان ضم بقية أجزاء العراق إلى الدولة العثمانية سنة ٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م . وقد حرصت الدولة العثمانية على إيجاد نوع من التوازن بين المذهب السني والشيعي في العراق . كما حافظت على البلاد العربية بعد إسقاط الدولة المملوكية من خطر زحف ذلك المذهب .

رابعاً : أضفت الدولة العثمانية الأمن على البحر الأحمر وجعلته بحراً إسلامياً مغلقاً في وجه السفن البرتغالية . ثم عممت هذا المبدأ على جميع السفن النصرانية فحرمت عليها الإبحار في مياه البحر الأحمر فيما وراء ثغر "المخا" جنوبي ثغر الحديدة في اليمن . إذ كان على السفن أن تفرغ حمولتها في هذا الميناء . ثم يعاد شحنها على سفن إسلامية يعمل عليها بحارة مسلمون لجوب أنحاء البحر الأحمر حتى السويس شمالاً . وكان هذا من شدة حفاظ الدولة العثمانية على أمن وسلامة الأماكن المقدسة في الحجاز ، وقد ظلت الدولة حريصة على تطبيق هذا المبدأ حتى القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي .

خامساً : يتصف الحكم العثماني للبلاد العربية بأنه حكم غير مباشر . فلم تضيق السلطات العثمانية الخناق على المجتمعات العربية ، ولم تتدخل إلا في

نطاق ضيق ومحدود لم يتجاوز مجالات معينة هي . توفير الأمن وجمع الضرائب ، والإشراف علي المحاكم الشرعية ، وبناء المساجد والمدارس .... وتركت للمجتمعات العربية حق إدارة هذه المرافق تحت إشراف الدولة وتوجيهاتها . وتركت معاهد التعليم ومراكز الثقافة العليا ، الدينية والعربية سواء كان ذلك في العراق أو الحجاز أو اليمن أو الشام أو مصر أو شمال إفريقية تمارس نشاطها علي النحو الذي كان سائداً قبل دخول الولايات العربية تحت السيادة العثمانية ، وكان كبار العلماء إلي جانب نشاطهم العلمي المتعدد الجوانب ، يمارسون زعامة شعبية علي المجتمعات. لم تحاول السلطات العثمانية أن تنال منها ، بل كانت توقرها ، بل وتخشاها وتعمل علي الإفادة منها عند وقوع أي مشكلة إجتماعية طارئة . ومجمل القول أنّ السلطات العثمانية تركت المجتمعات العربية تحيا علي النحو الذي ألفته من قبل دون تغيير جوهري يمس حياتهم . فمثلاً نجد الحكم العثماني في العراق يتسم بالهدوء والإستقرار ، وهدوء الصراع المذهبي بين الشيعة والسنيين فيما عدا الحروب التي كانت تنشب بين الدولة العثمانية وفارس . ولكن لم تتعرض المجتمعات العراقية لمذابح أو عمليات تخريبية . أما في الحجاز فقد أبقي العثمانيون علي حكم الأشراف ، وأبقوا علي الإمتيازات الخاصة بأهل الحجاز مثل الإعفاء من التجنيد والضرائب . وكانت الدولة تحرص حرصاً شديداً علي إرسال حصيلة الأوقاف والإعتمادات المالية المرصودة علي الأشراف وفقراء الأماكن المقدسة ، وإصلاح الحرمين الشريفين ، كما كانت تتدخل لإصلاح ذات البين بين الإشراف . أما في اليمن فلم يكن الحكم العثماني مستقراً لفترات طويلة بسبب إختلاف المذهب الديني. فقد كان أهل اليمن شديدي التمسك بأن يكون حكامهم من أتباع مذهب الإمامية الزيدية . وانتهي الأمر بالإتفاق علي تعيين حاكم منهم يعترف

بالسيادة العثمانية على اليمن وما تستتبعه هذه السيادة من التزامات .
أما منطقة الخليج العربي فقد كان الحكم العثماني فيها ضعيفاً حيث تركت الدولة سكان المناطق التي امتد إليها الحكم العثماني يزاولون نشاطهم التقليدي دون تدخل منها . أما في النيابات الثلاث في شمالي إفريقية فكانت السيادة عليها سيادة إسمية . وكان الدايات والبايات والولاة يرسلون مبلغاً سنوياً أحياناً . وأحياناً لايرسلونه . ولكن كان الجهاد الإسلامي البحري الذي مارسه سكان شمالي إفريقية مع حكامهم ضد القوى النصرانية الأوربية يشدهم شداً إلى الدولة العثمانية بصفتها أكبر دولة إسلامية وأن سلطانها هو خليفة المسلمين .

سادساً : ومن نتائج دخول الأقطار العربية في حوزة العثمانيين زيادة نشاط الفتح الإسلامي في بلاد شرق أوربا في عهد السلطان سليمان القانوني .

فبعد أن أمّن العثمانيون البلاد العربية والأماكن المقدسة من أي خطر أجنبي صليبي . وبعد أن تشرف سلاطين آل عثمان ، بخدمة الحرمين الشريفين . بعد ذلك تفرغوا للجهاد الإسلامي في بلاد شرق أوربا حيث وصلت الجيوش العثمانية إلى أسوار فينا .

المصادر والمراجع

أولاً : وثائق عثمانية غير منشورة :

من المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة الوزراء . إستانبول

BASBAKANLK ARSIVI GENEL MUDURLU

وهي مصنفة كما يأتي :

وثائق دفتر المهمة : Mihimme Defterleri

أولاً : دفتر المهمة رقم « ٥ » :

١ - الوثيقة رقم (٢١١٢) وتاريخ ١٠ ذو القعدة سنة ٩٢٢ هـ

من السلطان سليم إلى إبنه وولي عهد سليمان (إستانبول) .

٢ - الوثيقة رقم (٢١١٤) وتاريخ ١٠ ذو القعدة سنة ٩٢٢ هـ

من السلطان سليم إلى إبنه وولي عهده سليمان (إستانبول) .

٣ - الوثيقة رقم (٢١٠٠) وتاريخ ٢٧ رمضان سنة ٩٢٢ هـ

من القاهرة (لم يذكر إسم المرسل) إلى السلطان سليم في بلاد الشام .

٤ - الوثيقة رقم (٢١٠٥) وتاريخ ١٢ شوال سنة ٩٢٢ هـ

من القاهرة (لم يذكر إسم المرسل) إلى السلطان سليم في دمشق .

٥ - الوثيقة رقم (٢١٠٧) وتاريخ ١٢ شوال سنة ٩٢٢ هـ

من القاهرة (لم يذكر إسم المرسل) إلي السلطان سليم في دمشق .

٦ - الوثيقة رقم (٢١٢٧) وتاريخ ٢٨ ذو القعدة سنة ٩٢٢ هـ

(لم يذكر إسم المرسل والمرسل إليه) .

٧ - الوثيقة رقم (٢١٣٠) وتاريخ ٢٨ ذو القعدة سنة ٩٢٢ هـ

(لم يذكر إسم المرسل والمرسل إليه) .

٨ - الوثيقة رقم (٢١٣٩) وتاريخ ٧ ذو القعدة سنة ٩٢٢ هـ

من السلطان سليم إلي جان بردي .

٩ - الوثيقة رقم (٢١٤٧) وتاريخ ٧ ذو القعدة سنة ٩٢٢ هـ

(لم يذكر إسم المرسل والمرسل إليه) .

١٠ - الوثيقة رقم (٢١٥٠) وتاريخ ٢٩ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ

من السلطان سليم إلي إبنه سليمان في (إستانبول) .

ثانياً : دفتر المهمة رقم (٦) :

١١ - الوثيقة رقم (٢٢٢١) وتاريخ ١٢ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ

من الصدر الأعظم سنان باشا إلي مقام الصدارة العظمي في إستانبول .

١٢ - الوثيقة رقم (٢٢٢٧) وتاريخ ١٣ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ

(لم يذكر إسم المرسل) إلي الصدر الأعظم سنان باشا . غزة .

١٣ - الوثيقة رقم (٢٢٣) وتاريخ ٢٧ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ

من الصدر الأعظم سنان باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول .

١٤ - الوثيقة رقم (٢٢٣٥) وتاريخ ٢٨ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ

من الصدر الأعظم سنان باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول .

١٥ - الوثيقة رقم (٢٢٣٨) وتاريخ ٢٩ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ

من الصدر الأعظم سنان باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول .

١٦ - الوثيقة رقم (٢٢٤٩) وتاريخ ٢٩ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ

من الصدر الأعظم سنان باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول .

١٧ - الوثيقة رقم (٢٢٥٠) وتاريخ ٢٩ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ

من الصدر الأعظم سنان باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول .

١٨ - الوثيقة رقم (٢٢٦١) وتاريخ ٢٩ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ

من الصدر الأعظم سنان باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول .

١٩ - الوثيقة رقم (٢٢٦٣) وتاريخ ٢٩ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ

من الصدر الأعظم سنان باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول.

٢٠ - الوثيقة رقم (٢٢٦٥) وتاريخ ٢٩ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ

من الصدر الأعظم سنان باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول .

ثالثاً : دفتر المهمة رقم (٧) :

٢١ - الوثيقة رقم (٣٣١٠) وتاريخ ٣ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ

من السلطان سليم إلي إبنه سليمان في إستانبول .

٢٢ - الوثيقة رقم (٣٣١٢) وتاريخ ٣ ذو الحجة سنة ٩٢٢ هـ

من السلطان سليم إلي إبنه سليمان في إستانبول .

٢٣ - الوثيقة رقم (٣٣١٥) وتاريخ ١ محرم سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم إلي إبنه سليمان في إستانبول .

٢٤ - الوثيقة رقم (٣٣١٧) وتاريخ ١ محرم سنة ٩٢٣ هـ

من أمير الأناضول مصطفي باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول .

٢٥ - الوثيقة رقم (٣٣٢٨) وتاريخ ١ محرم سنة ٩٢٣ هـ

من أمير الأناضول مصطفي باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول .

٢٦ - الوثيقة رقم (٣٣٣٠) وتاريخ ٢ محرم سنة ٩٢٣ هـ

من أمير الأناضول مصطفي باشا (لم يذكر إسم المرسل إليه) .

٢٧ - الوثيقة رقم (٣٣٣٧) وتاريخ ٢ محرم سنة ٩٢٣ هـ

من الوزير الثاني يونس باشا (لم يذكر إسم المرسل إليه) .

٢٨ - الوثيقة رقم (٣٣٤٠) وتاريخ ٥ محرم سنة ٩٢٣ هـ

من الوزير الأعظم يونس باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول .

٢٩ - الوثيقة رقم (٣٣٤٥) وتاريخ ٥ محرم سنة ٩٢٣ هـ

من الوزير الأعظم يونس باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول .

٣٠ - الوثيقة رقم (٣٤٥) وتاريخ ٦ محرم سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم (القاهرة) إلي إبنه سليمان (إستانبول) .

رابعاً : دفتر المهمة رقم (٨) :

٣١ - الوثيقة رقم (٥٤٢) وتاريخ ٦ محرم سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم إلي إبنه سليمان .

٣٢ - الوثيقة رقم (٥٤٢٢) وتاريخ ٩ محرم سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم إلي إبنه سليمان .

٣٣ - الوثيقة رقم (٥٤٣٧) وتاريخ ١٠ محرم سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم إلي إبنه سليمان .

٣٤ - الوثيقة رقم (٥٤٤٠) وتاريخ ١٠ محرم سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم إلي أمير دمشق وقاضي القضاة .

٣٥ - الوثيقة رقم (٥٤٤١) وتاريخ ١١ محرم سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم إلي إبنه سليمان .

٣٦ - الوثيقة رقم (٥٤٤٣) وتاريخ ١١ محرم سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم (لم يذكر إسم المرسل إليه) .

٣٧ - الوثيقة رقم (٥٤٤٨) وتاريخ ١٢ محرم سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم إلي أمير دمشق وقاضي القضاة .

٣٨ - الوثيقة رقم (٥٤٥.) وتاريخ ١٢ محرم سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم إلي قاضي قضاة دمشق .

٣٩ - الوثيقة رقم (٦٥٥٣) وتاريخ ١٥ محرم سنة ٩٢٣ هـ

موقعة من أحد الكتّاب (لم يذكر إسمه) إلي السلطان سليم .

٤٠ - الوثيقة رقم (٦٥٥٧) وتاريخ ١٦ محرم سنة ٩٢٣ هـ

موقعة من أحد المحققين (لم يذكر إسمه) إلي السلطان سليم .

خامساً : دفتر المهمة رقم (٩) :

٤١ - الوثيقة رقم (٦٥٦٠.) وتاريخ ١٥ محرم سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم (القاهرة) إلي إبنه سليمان (إستانبول) .

٤٢ - الوثيقة رقم (٦٥٦٣) وتاريخ ١٦ محرم سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم إلي أمير دمشق وقاضي القضاة .

٤٣ - الوثيقة رقم (٦٥٦٧) وتاريخ ١٧ محرم سنة ٩٢٣ هـ

من الصدر الأعظم يونس باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول .

٤٤ - الوثيقة رقم (٦٥٧٠.) وتاريخ ٢٢ محرم سنة ٩٢٣ هـ

من الصدر الأعظم يونس باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول .

٤٥ - الوثيقة رقم (٦٥٧٣) وتاريخ ٢٣ محرم سنة ٩٢٣ هـ

من الصدر الأعظم يونس باشا إلي إستانبول (لم يذكر إسم المرسل إليه).

٤٦ - الوثيقة رقم (٦٥٨٠) وتاريخ ٩ صفر سنة ٩٢٣ هـ

من غانم السيفي إلي السلطان سليم .

٤٧ - الوثيقة رقم (٦٥٨٢) وتاريخ ٢١ صفر سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم (القاهرة) إلي إبنه سليمان (إستانبول) .

٤٨ - الوثيقة رقم (٦٥٨٤) وتاريخ ٢٣ صفر سنة ٩٢٣ هـ

من الصدر الأعظم يونس باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول .

٤٩ - الوثيقة رقم (٦٥٨٨) وتاريخ ٢٣ صفر سنة ٩٢٣ هـ

من عاطف باشا إلي السلطان سليم (القاهرة) .

٥٠ - الوثيقة رقم (٦٥٩١) وتاريخ ٢٣ صفر سنة ٩٢٣ هـ

(لم يذكر إسم المرسل) إلي السلطان سليم (القاهرة) .

٥١ - الوثيقة رقم (٦٦٢٠) وتاريخ ٢٥ صفر سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم (القاهرة) إلي إبنه سليمان (إستانبول) .

٥٢ - الوثيقة رقم (٦٦٣١) وتاريخ ٢٧ صفر سنة ٩٢٣ هـ

من الصدر الأعظم يونس باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول .

٥٣ - الوثيقة رقم (٦٦٣٩) وتاريخ ٢٧ صفر سنة ٩٢٣ هـ

(لم يذكر إسم المرسل) إلي ولي العهد سليمان (إستانبول) .

٥٤ - الوثيقة رقم (٦٦٤٧) وتاريخ ٢٩ صفر سنة ٩٢٣ هـ

من الصدر الأعظم يونس باشا إلي أمير دمشق وقاضي القضاة .

سادساً : دفتر المهمة رقم (١٠) :

٥٥ - الوثيقة رقم (٦٧٢٠) وتاريخ ٢٥ صفر سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم إلي إبنه سليمان .

٥٦ - الوثيقة رقم (٦٧٣٧) وتاريخ ٢٧ صفر سنة ٩٢٣ هـ

تقرير من الصدر الأعظم يونس باشا إلي السلطان سليم .

٥٧ - الوثيقة رقم (٦٧٤٣) وتاريخ ٢٧ صفر سنة ٩٢٣ هـ

إلي السلطان سليم (لم يذكر إسم المرسل) .

٥٨ - الوثيقة رقم (٦٧٥٦) وتاريخ ٢٨ صفر سنة ٩٢٣ هـ

صور من هذه الرسائل مرفوعة إلي أمير دمشق .

٥٩ - الوثيقة رقم (٦٧٦٩) وتاريخ ٢٨ صفر سنة ٩٢٣ هـ

تقرير مرفوع إلي السلطان سليم (لم يذكر إسم المرسل) .

٦٠ - الوثيقة رقم (٦٧٧٧) وتاريخ ٢٩ صفر سنة ٩٢٣ هـ

تقرير مرفوع إلي الصدر الأعظم يونس باشا (لم يذكر إسم المرسل) .

سابعاً : دفتر المهمة رقم (١٣) :

٦١ - الوثيقة رقم (٧٣٢٠) وتاريخ ٤ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ

من جان بردي الغزالي إلي السلطان سليم .

٦٢ - الوثيقة رقم (٧٣٣٨) وتاريخ ٥ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ
من الصدر الأعظم يونس باشا إلي جان بردي الغزالي .

٦٣ - الوثيقة رقم (٧٣٥١) وتاريخ ١٨ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ
صورة رسالة من خاير بك إلي السلطان سليم .

٦٤ - الوثيقة رقم (٧٣٥٨) وتاريخ ١٨ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ
صورة رسالة من جان بردي الغزالي إلي السلطان سليم .

٦٥ - الوثيقة رقم (٧٣٧١) وتاريخ ١٩ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ
من الصدر الأعظم يونس باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول .

ثامناً : دفتر المهمة رقم (١٥) :

٦٦ - الوثيقة رقم (٧٥٤١) وتاريخ ١٩ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ
من السلطان سليم إلي إبنه ولي عهده سليمان .

٦٧ - الوثيقة رقم (٧٥٤٣) وتاريخ ١٩ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ
من السلطان سليم إلي أمير دمشق وقاضي القضاة .

٦٨ - الوثيقة رقم (٧٥٥٢) وتاريخ ٢٠ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ
من الصدر الأعظم يونس باشا إلي مقام الصدارة في إستانبول .

٦٩ - الوثيقة رقم (٧٥٦٣) وتاريخ ٢١ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ
من السلطان سليم (القاهرة) إلي إبنه ولي عهده سليمان .

٧٠ - الوثيقة رقم (٧٥٧١) وتاريخ ٢٥ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ

من الصدر الأعظم يونس باشا إلي أحمد باشا (إستانبول) .

٧١ - الوثيقة رقم (٧٥٨٩) وتاريخ ٢٦ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم إلي الوزير محمد باشا .

تاسعاً : دفتر المهمة رقم (١٦) :

٧٢ - الوثيقة رقم (٨١٠٠) وتاريخ ٢٥ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم إلي إبنه وولي عهده سليمان .

٧٣ - الوثيقة رقم (٨١٢٢) وتاريخ ٢٧ ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم إلي إبنه وولي عهده سليمان .

٧٤ - الوثيقة رقم (٨١٢٧) وتاريخ ١٠ شوال سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم (دمشق) إلي إبنه وولي عهده سليمان (إستانبول).

٧٥ - الوثيقة رقم (٨١٤١) وتاريخ ١٢ شوال سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم (دمشق) إلي إبنه وولي عهده سليمان (إستانبول) .

٧٦ - الوثيقة رقم (٨١٤٧) وتاريخ ١٥ شعبان سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم (دمشق) إلي إبنه وولي عهده سليمان (إستانبول) .

٧٧ - الوثيقة رقم (٨١٥٣) وتاريخ ١٧ شعبان سنة ٩٢٣ هـ

إلي مقام الصدارة العظمي في استانبول (لم يذكر اسم المرسل)

٧٨ - الوثيقة رقم (٨١٦١) وتاريخ ٢٠ شعبان سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم (القاهرة) إلي أمير دمشق وقاضي القضاة .

٧٩ - الوثيقة رقم (٨٢١٠) وتاريخ ٢٠ شعبان سنة ٩٢٣ هـ

من الصدر الأعظم محمد باشا (القاهرة) إلي إستانبول .

٨٠ - الوثيقة رقم (٨٢٢٣) وتاريخ ٢٢ شعبان سنة ٩٢٣ هـ

من السلطان سليم إلي والي مصر الجديد خاير بك .

٨١ - الوثيقة رقم (٨٢٣٧) وتاريخ ١٥ شوال سنة ٩٢٣ هـ

من الشاه إسماعيل الصفوي إلي السلطان سليم .

ثانياً : المصادر والمراجع

٨٢ - أحمـــــد حسين ، موسوعة تاريخ مصر الجزء الثالث ، دار الشعب .

٨٣ - أحمد فؤاد متولي (دكتور) ، الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له . دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٦ م .

٨٤ - أحمد شلبي (دكتور) ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، الجزء الخامس ، النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٧٩ م .

٨٥ - إبراهيم العبيدي ، قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان طبع في مصر سنة ١٣١٧ هـ .

٨٦ - إبراهيم طرخان (دكتور) ، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، الخرطوم ١٩٥٩ م .

٨٧ - إبن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور .طبع المطبعة الكبري الأميرية بمصر ، الجزء الثـــالث ، الطبعـــة الأولي ١٣١١ هـ.

٨٨ - ابن زنبل ، آخر المماليك " واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني".تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٦٢ م .

٨٩ - أبن طولون ، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، القسم الثاني ، تحقيق : محمـد مصطفي طباعة الـدار المصرية ، ١٩٦٤ م .

٩٠ - ابن طولون ، أعلام السوري . تحقيق عبد العظيم خطاب .القاهرة ، ١٩٧٣ م .

٩١ - ابن الحنبلي ، در الحبب في تاريخ أعيان حلب ، حـ ١ ، ٢ من القسم الأول تحقيق محمود الفاخوري . دمشق ١٩٧٢ - ١٩٧٣ م .

٩٢ - ابن الغزي ، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، الجزء الأول ، بيروت ، ١٩٤٥ م .

٩٣ - جلال يحيى (دكتور) ، العالم الإسلامي الحديث والمعاصر طبع المكتب الجامعي الحديث بالأسكندرية ، ١٩٨٢ م .

٩٤ - حسن عثمان (دكتور) ، تاريخ مصر في العهد العثماني (١٥١٧ - ١٧٩٨) في كتاب المجمل في التاريخ المصري، نشر د. حسن إبراهيم حسن ، القاهرة ، ١٩٤٢ م .

٩٥ - السيد رجب حراز (دكتور) ، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب (١٨٤ - ١٩٠٩) القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٧٠ م .

٩٦ - سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) ، العصر المملوكي في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٦م .

٩٧ - عبد الرحمن الجبرتي ، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، دار الجيل ، بيروت .

٩٨ - عبد العزيز محمد الشناوي (دكتور) ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها ، جـ ١ ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٨٠ م .

٩٩ - عبد الرحمن زكي ، القاهرة وتاريخها وآثارها ، مطبعة الدار المصرية ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .

١٠٠ - عبد المنعم ماجد ، طومان باي آخر سلاطين المماليك في مصر ، مطبعة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨ م .

١٠١ - عمر عبد العزيز عمر (دكتور) ، دراسات في تاريخ العرب الحديث (١) الشرق العربي من الفتح العثماني حتى نهاية القرن الثاني عشر ، دار النهضة العربية للطبعة والنشر ، بيروت .

١٠٢ - عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور) ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

١٠٣ - عبد الكريم رافق (دكتور) ، العرب والعثمانيون ، ١٥١٦ - ١٩١٦ ، الطبعة الأولى ، دمشق ، ١٩٧٤ م .

١٠٤ - فائق بكر الصواف (دكتور) ، العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز في الفترة مابين ١٢٩٣ - ١٣٣٤ هـ / ١٨٧٦ - ١٩١٦ م ، القاهرة ، مطبعة سجل العرب ، ١٩٧٨ م

١٠٥ - كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٨م

١٠٦ - محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، دار الجيل ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

١٠٧ - محمد عبد المنعم السيد الراقد ، الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، ١٩٧٢م .

١٠٨ - منسي ، محمود صالح (دكتور) ، حركة اليقظة العربية في الشرق الأسيوي ، دار الإتحاد العربي للطباعة ، الناشر : دار الفكر العربي ، ١٩٧٨م ، الطبعة الثانية . دراسات في تاريخ الشرق العربي (١) .

١٠٩ - السير وليام موير ، تاريخ دولة المماليك في مصر ١٢٦٠ - ١٥١٧ م ، ترجمة محمود عابدين وسليم حسن ، مطبعة المعارف المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٢٤م .

١١٠ - هند اسكندر ، تاريخ مصر ، دار المعارف بمصر .

١١١ - محمد بن أبي السرور البكري الصديق ، الكواكب السائرة في أخبار مصر والقاهرة ، (مخطوط بالمتحف البريطاني بلندن تحت رقم Additional MS 9973 ويقع في ١٣٢ ورقة) .